

# الإنترنت ولغة حجرات الدردشة

## دراسة حالة لاستخدامات اللغة العربية في برنامج «البال توك» Paltalk ودلالاتها الاجتماعية

د. صالح سليمان عبد العظيم \*

### الملخص

تتناول هذه الدراسة تأثيرات الإنترنت في اللغة العربية وكيفية استخدامها، وذلك من خلال التركيز على أحد مواقع الدردشة Chat Rooms المعروفة عالمياً باسم البال توك Paltalk. وتهدف الدراسة، من خلال ذلك، إلى تعرف شكل اللغة المستخدمة داخل حجرات الدردشة وطبيعتها، ومدى اختلافها عن لغة الجمهور العادي، وماهية الدلالات الاجتماعية للغة المستخدمة داخل هذه الحجرات. هذا وقد انتهت الدراسة إلى أن النص، ومن ثم اللغة المستخدمة داخل حجرات الدردشة، على الرغم مما يعتورها من تبسيط مُخل بالحدود الدنيا للاستخدامات اللغوية، هو نصٌ مختلف عن النصوص التقليدية، بحيث تجب تسميته بالنص المعقد واللاخطى Hybertext، تمييزاً له من النص التقليدي Text. كما تتميز اللغة المستخدمة في حجرات الدردشة باعتماد آلية تكرار الحروف، والكلمات، واستخدام الإشارات، والأيقونات الدالة على الحالة الشعورية والنفسية للفرد، و المزج بين اللغة العربية والإنجليزية، أو كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية.

وإضافة إلى ذلك، تعتمد هذه اللغة، إلى حد كبير، على التأثيرات الإضافية المرتبطة بالكتابة، مثل الألوان، ونوع الخط المستخدم في الكتابة وحجمه، ووضع خطوط تحت الكلمات والجمل، ورسم الأشكال الزخرفية، مفيدة في ذلك من الإمكانيات التي توفرها البرامج المختلفة للكمبيوتر. وأخيراً، تنتهي الدراسة إلى أن اللغة المستخدمة في حجرات الدردشة تعكس قدراً كبيراً من التفكك والتشظى، وهو الأمر الذي يتفق مع توجهات الأجيال الجديدة التي هي أكثر استخداماً للإنترنت، وأكثر تمثيلاً لحجرات الدردشة، التي تقع في الفئة العمرية بين ١٨ و٢٤ عاماً حسب تصنيف «البال توك».

---

\* مدرس علم الاجتماع، كلية الآداب - جامعة عين شمس، والأستاذ المشارك بجامعة الإمارات العربية المتحدة حالياً.

# The Internet and the Language of Chat Rooms

## Case

### A Case Study of the Uses of Arabic Study of the Uses of Arabic Language in Paltalk Program

*Dr. Saleh Sliman Abdelazim*

#### **Abstract**

By studying and analyzing Arabic chat rooms of the internationally known program named Paltalk, and by implementing ethnographic method, this study aims at demonstrating and displaying social impacts of the Internet on the uses of the Arabic language. In addition, it seeks to identify the form and nature of the language which used in chat rooms.

This study ends with the following findings in regards to the language of chat rooms:

- There are many differences between our daily language and the language of chat rooms, mainly in the form aspects more than in the content ones.
- These differences are related to the nature of the computer mediated communication, which differs to a great extent from that of the face to face communication.
- The language of chat rooms has many characteristics such as repetition of letters and words, the use of signs and icons, and mixing Arabic language with English one, or writing Arabic language in English letters.
- This language has gained from the facilities of computer's programs such as using different colors and fonts, underlining words and sentences, and finally drawing.

مما لا شك فيه أن تكنولوجيا الاتصالات المعاصرة تمثل أحد أهم الآليات التي لعبت، ومازالت، تلعب دوراً بالغ الأهمية في التحولات العالمية المعاصرة. ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إن تكنولوجيا الاتصالات، بشكل عام، والإنترنت، بشكل خاص، قد لعبت دوراً مركزياً ومحورياً في التأسيس والدعوة لخطاب العولمة. وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة لخطاب العولمة وممارساتها في آن، فإن المرء لا يمكنه تجاهل التأثيرات الهائلة المرتبطة بثورة المعلومات، وبشكل أكثر تحديداً، بالإنترنت. لقد استطاعت هذه الأشكال الاتصالية الجديدة أن تحطم القيود والحدود الجغرافية، كما استطاعت في الوقت نفسه، أن تقفز على أشكال الرقابة التي اعتادت أن تمارسها الدول في كافة أرجاء العالم، وبشكل خاص، في دول الجنوب التي هي أقل نمواً، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً (حول حرية الإعلام الإلكتروني الدولي الجديد وسيادة الدولة، انظر حمادة: ٨٧-١٣٧؛ وحول حرية المعلومات في الدول العربية انظر، الرميحي ١٣٥-١٣٦؛ تقرير التنمية الإنسانية العربية: ص ١١-١٣، ص ٤٧؛ اليحياوي: ١٦٠-١٦٥).

وإذا كانت العلوم الإنسانية بشكل عام، وعلم الاجتماع بشكل خاص، قد تناولت وسائل الاتصال التقليدية مثل الصحافة والإعلام المسموع والمرئي بالفهم والتحليل، فإن الوسائل الاتصالية الحديثة مثل الإنترنت مازالت تعاني ندرة الدراسات الخاصة بها. ففي مجال علم الاجتماع، وعلى الرغم من العدد الهائل من الدراسات التي تناولت كافة جوانب المجتمع، بما فيها وسائل الاتصال التقليدية، فإن الإنترنت لم تحظ بهذا القدر من الاهتمام من جانب علماء الاجتماع. وربما يرجع ذلك إلى حداثة الظاهرة إلى حد ما، وإلى الصعوبات النظرية والمنهجية التي تكتنف التعامل مع هذا الوافد الجديد، أقصد الإنترنت.

والإنترنت، وهي الوسيلة التي هي أبرز وأهم وأكثر رخصاً من بين وسائل الاتصال المعاصرة، قد أتاحت قدراً كبيراً من ديمقراطية الاتصال وتبادل المعلومات بين المستخدمين؛ حيث تكفل الإنترنت لمستخدميها قدراً كبيراً من حرية استخدام

المعلومات وتبادلها، بشكل غير متاح خلال وسائل الاتصال التقليدية؛ مثل الكتاب، والصحف، والإذاعة، والتلفاز، حيث تقع هذه الأدوات، بشكل كبير، تحت سمع السلطات الحاكمة وبصرها، وهذا ما يمنحها إمكانات أوسع من الرقابة والضبط (See, Heng and Moor (2003)). وفى هذا السياق، تؤكد منظمة مراقبة حقوق الإنسان Human Right Watch أن الإنترنت قد دعمت ومكنت الأفراد من ممارسة حقوقهم الخاصة بحرية المشاركة، وإرسال المعلومات واستقبالها، بغض النظر عن طبيعة الحدود الجغرافية التى تفصل بين المستخدمين. من هنا، فإن منظمة مراقبة حقوق الإنسان تؤكد ضرورة حماية هذه الحقوق وتدعو إليها، بشكل كلي وكامل، من خلال الضمانات الدولية الخاصة بحماية حرية التعبير (حول الحقوق التى يجب أن تراعيها الحكومات العربية بخصوص تدعيم حرية الرأي على الإنترنت، انظر تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان Human Right Watch: Online؛ وحول حرية الإعلام في الوطن العربي، والحقوق المختلفة المرتبطة به، انظر الجمال: ١٧-٤٠).

لا يعنى ذلك أن الإنترنت، بوصفها وسيلة اتصال معاصرة، لا تواجه أشكالاً مختلفة من الرقابة والضبط؛ فهناك الكثير من أشكال الرقابة والضبط التى تواجهها الإنترنت من قبل الحكومات التى قبلت التعامل مع تكنولوجيا الإنترنت؛ مثل إغلاق بعض المواقع، ومنع البعض الآخر، إضافة إلى مراقبة البريد الإلكتروني، واتصالات النشطاء السياسيين. كما تساعد الإنترنت ذاتها على إطلاق مناقشات الكراهية، وتصعيد حدة العداء بين الأقليات، حيث يجد البعض في الإنترنت وسيلة متاحة لتنفيذ نزعات الكراهية والانتقام التى لا يمكن التعبير عنها في الواقع المعيش خلال وسائل الاتصال التقليدية، كما يصل الأمر ذروته حينما يلجأ البعض، عامداً متعمداً، إلى حد تخريب مواقع الآخرين المضادين له في التوجهات والأفكار وتدميرها (انظر هينج وموور: Heng and Moor: ٣٢٢-٣٢٥؛ وينظر سعيد: ٧٣-٩٢).

وتوفر الإنترنت مجموعة من الوسائل الاتصالية الأخرى، التي تتيح لمستخدميها تعظيم الاتصالات فيما بينهم وتنويعها، وتشتمل هذه الوسائل على البريد الإلكتروني Electronic Email، وغرف الدردشة Chat Rooms، والمنتدى الإلكتروني (Bulletin Board)<sup>(١)</sup>، وأخيراً نظام الـ (MOO's)<sup>(٢)</sup> (ينظر حول الخدمات المختلفة التي تقدمها الإنترنت حالياً، سعيد: ٥٧-٦٥؛ (Stroud: 9-11)). وربما يكون البريد الإلكتروني، على الرغم من اختلافه عن الوسائل المشار إليها آنفاً، مثلاً واضحاً علي تحول عملية الاتصال خلال الإنترنت، فالهدف هنا هو تبادل الرسائل مثلما يحدث خلال البريد العادي، لكننا، وبدلاً عن استخدام الورقة والقلم لكتابة الرسائل العادية، وبدلاً عن البحث عن مطروف وطابع بريد، وأخيراً بدلاً عن الذهاب إلى مكتب البريد، بدلاً عن هذا كله، نجلس أمام الحاسب الآلي، نكتب رسالتنا، ونرسلها عن طريق الإنترنت. إن الهدف في النهاية واحد، ألا وهو الاتصال والتواصل بين البشر، لكن مستجدات الإنترنت قد حملت أدوات جديدة عظمت من سرعة وسهولة وإمكانات هذا الاتصال. والمسألة هنا لا تتعلق بسهولة إرسال الرسائل فحسب، لكنها تتعدى ذلك إلى سهولة تلقي الردود؛ ففي اللحظة التي يتلقى فيها الشخص الرسالة المرسلة له خلال البريد الإلكتروني، يمكنه أن يرد عليها، ليتلقاها المستخدم الآخر حينما يفتح بريده الإلكتروني. لقد تلاشت الحدود الجغرافية المتعارف عليها، كما تم اختصار عامل الزمن بشكل كبير عن طريق استخدامات الإنترنت، وهو الأمر الذي لعب دوراً كبيراً في تقييد أشكال الرقابة العادية التي اعتادت السلطات الحاكمة أن تمارسها على وسائل الاتصال التقليدية. إن المفارقة التي تنطوي عليها الإنترنت أنها وعلى الرغم من حيز الحرية الضخم والواسع المدى الذي تتيحه لمستخدميها، بشكل لم يعرفه التاريخ من قبل - تعتمد في الأساس على الاتصال غير المباشر بين المستخدمين؛ فلا مجال هنا للاتصال وجهاً لوجه. وإذا كان الصوت والصورة يمثلان أداتين رئيسيتين من أدوات الاتصال خلال

الإنترنت، فإن الكلمة المكتوبة مازالت تمثل واحدة من أهم أدوات الاتصال من خلال شبكة الإنترنت. فالإنترنت، في النهاية، هي اتصال من خلال الكلمة المكتوبة، أو نقل اتصالاً من خلال لوحة الكتابة المتصلة بالحاسب الآلي، حيث تصبح الكلمة المكتوبة هي الأداة الرئيسة للتواصل والنقاش والجدل والاتفاق والاختلاف، في ظل غياب الحضور الجسدي والمعرفة الشخصية بين أطراف عملية الاتصال. ولعل ذلك هو الذي جعل كنج King (١٩٩٦) يرى أن الإنترنت قد أتاحت للبشر فرصة حقيقية لكي يخبروا شكلاً جديداً من أشكال الاتصال، بدون أي وجود اجتماعي حقيقي؛ حيث تقدم الإنترنت، وعلى حد قول كنج ما يمكن تسميته بالحياة الاجتماعية البديلة Surrogate Social Life، في الوقت نفسه الذي يؤكد فيه أن «الاختلاف المهم هنا بين العلاقة القائمة خلال الإنترنت، والعلاقات الأخرى القائمة على أشكال التكنولوجيا الأخرى مثل (التليفون، والبريد العادي، والفاكس)، هو أن قيم الثقافة الجديدة لمجتمعات الإنترنت الفعلية تنطوي على معايير اجتماعية تسمح وتشجع على الاتصال بالغرباء».

إن غياب الوجود المادي المتعين للمستخدمين، والاهتمام بالكلمة المكتوبة بديلاً عن ذلك، قد جعل مستخدمي الإنترنت يفتح بعضهم على بعض في كل مكان في العالم، حيث أصبحت الكلمة هي معيار الاتصال وآليته الأساسية في آن. وفي هذا السياق، يؤكد نورث North (١٩٩٤) أنه في ظل المدن المعاصرة المترامية الأطراف، وسيادة مشاعر العزلة المنقطعة النظير، فإن استخدام الإنترنت يصبح هو البديل عن غياب الحياة الاجتماعية الحقيقية ذات الاتصال المتعين والمتجسد بين البشر. والمسألة اللافتة للنظر هنا، هي أن استخدام الاتصال عن طريق الإنترنت قد أصبح يسود، ويحل محل الاتصال المتعين بين البشر، على الرغم من افتقاده لعنصر الاتصال وجهاً لوجه.

يرتبط استخدام الإنترنت باستخدام الحاسب الآلي (الكمبيوتر)، لذلك فإن

العلاقات القائمة من خلال الإنترنت هي، في التحليل الأخير، علاقات تتم بواسطة، ومن خلال، أجهزة الكمبيوتر Computer Mediated Relationships، حيث تكون هذه العلاقات محكومة في النهاية بفضاء الإنترنت Cyberspace، والشبكات المختلفة التي تشكلها وترتبط بها. إن طبيعة الاتصال عبر الكمبيوتر تظل محكومة بأجواء عملية الاتصال ذاتها، وطبيعة التفاعلات المرتبطة بها. ولعل ذلك هو ما حدا بالبعض إلى أن يطلق على مجتمع الإنترنت «المجتمع المتخيل» Virtual Community<sup>(3)</sup>، تمييزاً له من مجتمع الاتصال التقليدي القائم في الأغلب الأعم على نمط الاتصال وجهاً لوجه Face-to-Face communication. فسولر Suler، على سبيل المثال، يمايز بين المجتمعين، أي بين مجتمع الاتصال وجهاً لوجه، ومجتمع الإنترنت؛ حيث يرى أن شكل الاتصال عن طريق الإنترنت، على الرغم من جوانبه الإنسانية الكثيرة، يحمل الكثير من أشكال الغموض المتخيل Imaginative Ambiguity<sup>(4)</sup>. وما يضيف هذه الأجواء المتخيلة والغامضة في أن على مجتمع الإنترنت، هو غياب عنصر الوجود المادي المتعين لأطراف عملية الاتصال، وإحلالها بعنصر اللغة وعلاقات النص المكتوب Text-Mediated Relationships. فعالم الولوج إلى الإنترنت من الكمبيوتر، هو عالم المجاز، على حد قول سولر Suler، فنحن حين نقول عالم/فضاء الإنترنت، أو حجرات الدردشة، لا نعني وجوداً أو أماكن متعينة وحقيقية، قدر ما نعني وجوداً على مستوى المجاز، أسبغه المستخدمون على عالم الإنترنت (انظر حول فكرة المجاز سولر Suler: Online، وانظر أيضاً حول التفصيلات الخاصة بالفرق بين الاتصال وجهاً لوجه والاتصال عن طريق الإنترنت ووكر Walker: 100؛ وانظر حمادة: 59-60). من هنا، فإذا كان هذا العالم هو عالم المجاز، عالم اللامتعين، ألا يفترض ذلك شكلاً لغوياً معيناً، له القدرة على التعامل مع هذا العالم اللامتعين، العالم المتحقق بقوة الممارسة والمستخدمين. إذاً علينا أن نتوقع منذ البداية شكلاً لغوياً خاصاً بهذا العالم، يتميز به من غيره من

وسائل الاتصال الأخرى، التي تستخدم اللغة وسيطاً لها، وهذه هي الفرضية الأساسية التي تبنى عليها الدراسة الراهنة.

إن الكلمة المكتوبة هي الأساس المشكّل والرئيس للاتصال من خلال عالم الإنترنت، حيث يمكن لكل فرد أن يحيا وأن يشكل العالم الذي يريده من خلال جهاز الكمبيوتر الخاص به، هذا العالم الذي لا يمكنه، في أغلب الأحيان، أن يحيا وأن يمارسه في عالمه المعيش (انظر: راينجولد؛ Online). وفي ضوء ذلك، ونظراً لأهمية اللغة بوصفها أداة الاتصال الرئيسة داخل حجرات الدردشة، فإن الهدف الرئيس للدراسة يتمثل في التركيز على تحليل هذه الأداة، ومعرفة تجلياتها المختلفة، وأشكال التعبير عنها؛ بمعنى آخر، إن التركيز سوف يكون، بشكل أساسي، على الكيفية التي يتواصل بها المستخدمون من خلال اللغة، لنصل من خلال ذلك إلى وصف هذه اللغة وكيفية تشكلها، ومدى اقترابها من لغة الممارسة الفعلية في الحياة اليومية أو ابتعادها، وأسباب هذا الاختلاف أو الاقتراب<sup>(6)</sup>. وسوف يكون تركيزنا، كما سبق أن ذكرنا، على حجرات الدردشة التي تستخدم اللغة العربية، وعلى استخدامات اللغة العربية في هذه الحجرات.

وفي ضوء هذا الهدف سوف تستند الدراسة الراهنة في تحليلاتها إلى الأسس والمحددات النظرية الآتية:

- 1- إن كل أسلوب اتصالي يكون مصحوباً بأدواته الخاصة به، التي تمكن المتعاملين مع هذا الشكل الاتصالي من التواصل الممكن والمستمر في الوقت نفسه.
- 2- إن كل أسلوب اتصالي مرهون بطبيعة السياق الاجتماعي الذي ظهر من خلاله، والفترة الزمنية التي ظهر فيها؛ بحيث يمكن القول إن الأسلوب نفسه يختلف من مكان إلى آخر، ومن مدة إلى أخرى، حسب الدرجة من التطور التي وصلت إليها المجتمعات التي تستخدم هذا الأسلوب الاتصالي.
- 3- إن كل أسلوب اتصالي ينطوي على مجموعة من الإمكانيات التي تحرره من



هيمنة القوى والسلطات المستبدة؛ فالتحدي الحقيقي الذي يواجه كل أسلوب اتصالي يكمن في قدرة هذا الأسلوب على تعظيم سبل التواصل بين المستخدمين وتبسيطها، هذا من جانب، والكيفية التي يواجه بها سبل الهيمنة التي تمارسها السلطات الحاكمة، من جانب آخر.

٤- إن كل أسلوب اتصالي يرتبط، بشكل أو بآخر، بجماعة اجتماعية تمارس أنشطتها الاتصالية من خلال هذا الأسلوب، كما تخلق في الوقت ذاته اللغة الخاصة بها، التي تتناسب مع هذا الأسلوب الاتصالي، في علاقة جدلية ومستمرة من الإحلال والتجديد للغة هذا الاتصال. هذه هي الأسس والمحددات النظرية التي تركز عليها الدراسة الراهنة، والتي سوف تمثل الموجهات العامة لتحليلنا لحجرات الدردشة العربية من خلال برنامج البال توك، كما سوف يتضح لاحقاً.

#### فضاء الإنترنت وحجرات الدردشة:

ربما لا يوجد مفهوم معاصر قد جاوز في انتشاره وشيوعه مفهوم العولة مثل مفهوم الإنترنت. ويشير هذا المفهوم إلى أسلوب الاتصال الذي يتم بين مستخدمين متعددين عن طريق استخدامهم أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم، التي ترتبط بشبكات محلية، ترتبط هي الأخرى بشبكات عالمية. والمفهوم عند هذا الحد يشير إلى الجانب التقني من عملية الاتصال، ولذلك فإن مفهوم «فضاء/عالم الإنترنت» Cyberspace يُعد أكثر شمولية وأكثر ارتباطاً، بالنظر إلى الجوانب والتأثيرات الاجتماعية لعملية الاتصال عن طريق الإنترنت؛ فالمفهوم يتعدى الجوانب التقنية إلى الجوانب والتأثيرات الاجتماعية ذات الصلة المباشرة بالبنى الاجتماعية والتغيرات المرتبطة بها. وتتضمن الدراسة الراهنة مفهومين رئيسيين؛ هما فضاء/عالم الإنترنت، ومفهوم حجرات الدردشة.

يشير مفهوم «فضاء/عالم الإنترنت» إلى الجماعة التي تستخدم شبكات الحاسبات الآلية، مُشكّلة، في الوقت ذاته، ثقافتها الخاصة بها، التي تطورت بفعل

الاتصالات عن طريق شبكات الحاسبات الآلية بين مستخدمين متعددين ومترامي الأطراف. ويُعد روائي الخيال العلمي الأمريكي ويليام جيسون William Gibson، أول من صاغ هذا المفهوم واستخدمه حال تأليفه روايته الخاصة بالخيال العلمي «Neuromancer» وذلك في عام ١٩٨٤، حينما وصف عالم الإنترنت بأنه شبكة بالغة التعقيد يصعب تصور وجودها. وبعد ظهور هذا المفهوم، ظهرت مجموعة أخرى من المفاهيم المرتبطة بعالم الإنترنت Cybretrems، التي تعكس، في الوقت نفسه، المدى الذي وصلت إليه الإنترنت في حياتنا المعاصرة؛ مثل «مقاهي الإنترنت» Cybercafes، وهو يشير إلى المقاهي التي تقدم المشروبات، وخدمة الاتصال عن طريق الإنترنت، و«أسواق الإنترنت» Cybermalls وهو يشير إلى المواقع التي يمكن من خلالها التسوق عن طريق الإنترنت، ولعل من أشهرها في هذا السياق موقع بيع الكتب Amazon.com، (حول الثورة الإلكترونية في عالم الأعمال والتسوق والاستهلاك، انظر مارتين: ٥-٢٩؛ وانظر أيضاً Stroud: ١٢٩-١٦٥)، و«الجنس عن طريق الإنترنت» Cybersex وهو يشير إلى الاتصال الذي يتم من خلال الوسائل الإلكترونية؛ مثل البريد الإلكتروني Email، والدردشة Chat، والجماعات التي تتناول موضوع الجنس Newsgroups من أجل الاستثارة والإشباع الجنسي، وإضافة إلى ذلك هناك مفهوم «إدمان الإنترنت» Cyberjunks أو Cybernauts وهو يشير إلى الأشخاص المدمنين للإنترنت، أو هؤلاء الذين يقضون وقتاً طويلاً من حياتهم وأنشطتهم اليومية أمام أجهزة متصلة بالإنترنت.

إن مفهوم «فضاء/عالم الإنترنت» يشير إلى المجال الأوسع من استخدام الإنترنت، فهو الحاضنة التي تشمل في معيتها كل المفهومات والمجالات الأخرى التي تشتمل عليها الإنترنت. والسياق العام الذي تنطلق منه الدراسة الراهنة، يرتبط ارتباطاً كبيراً وحتماً بهذا المفهوم والمفاهيم الأخرى المرتبطة به، وبشكل أكثر تحديداً مفهوم حجرات الدردشة Chat Rooms. ولعل السبب الرئيس الذي يمنح

مفهوم «فضاء/عالم الإنترنت» هذه الأهمية وهذا الشمول، هو أن الخصائص الأساسية التي تميز الاتصال عن طريق الإنترنت، تنسحب بشكل أو بآخر، وبنسب متفاوتة، على الوسائل الفرعية الأخرى التي تشتمل عليها الإنترنت، ومنها حجرات الدردشة.

إن مسألة تحديد المفهومات الخاصة باستخدامات الإنترنت مازالت تقصر عن الإيفاء بالغرض التوضيحي والمختصر الذي يهدف إليه الباحثون، ولعل مرد ذلك يرجع إلى أن هذه المفاهيم هي في حد ذاتها تشير إلى عمليات معقدة يقصر المفهوم والتعريفات المرتبطة به عن الإحاطة بتجلياتها المختلفة المعقدة والمتشابكة في الوقت نفسه. لذلك، فإننا ونحن بصدد تناول مفهوم حجرات الدردشة وتعريفه، سوف نقدم أولاً التعريف المختصر، ثم نقدم الجانب الوصفي والتحليلي للجوانب المختلفة التي ينطوي عليها هذا المفهوم.

يمكن تعريف حجرات الدردشة Chat Rooms بأنها «مواقع خاصة بشبكة الإنترنت تسمح لمستخدمين متعددين بأن يُجروا اتصالاً متزامناً من خلال الكمبيوتر» (Conversation Analysis: Online) - Synchronous Computer Mediated Communication. والاتصال المتزامن يشير إلى الاتصال والاستجابة الفورية والآنية بين أطراف عملية الاتصال. فالذي يحدث هنا يشبه بشكل أوسع وأيسر وأكثر عدداً ما يحدث بيننا حينما نتجاذب أطراف الحديث من خلال التليفون؛ فهو اتصال متزامن لكنه يشتمل على عدد أكبر من المستخدمين، وهو في الوقت نفسه يختلف عن الاتصال غير المتزامن Asynchronous الذي يحدث بين المستخدمين الذين يستخدمون البريد العادي أو حتى البريد الإلكتروني. إن صفة التزامنية Synchronous هذه تميز الاتصال الذي يتم عن طريق حجرات الدردشة، بشكل يجعله يختلف عن غيره من وسائل الاتصال غير التزامنية (انظر، رايد Reid 1991؛ Conversation Analysis: Online). وفيما يلي سوف نعرض

للسمات الخاصة بشكل الاتصال وأسلوبه عن طريق حجرات الدردشة، واضعين فى الحسبان أن هذه الوسيلة الاتصالية ترتبط فى النهاية بالسمات العامة التى تميز الاتصال عن طريق الإنترنت.

### ١- المجهولية: Anonymity

على العكس من الاتصال وجهاً لوجه الذى يعرف فيه أطراف العملية الاتصالية بعضهم البعض، يتسم الاتصال عن طريق حجرات الدردشة بالمجهولية التى لا تتيح لأطراف الاتصال منذ البداية معرفة بعضهم بعضاً . إن غياب الجانب المادي المتعين من هذا الاتصال يفرض عليه سمات وقسمات تجعله يختلف اختلافاً كبيراً عن الاتصال وجهاً لوجه. ويرتبط بمسألة المجهولية هذه مسألة أخرى على قدر كبير من الأهمية لا تتم أية عملية اتصالية بدونها، ألا وهى هوية أطراف هذه العملية؛ فلا يوجد شكل أو أسلوب من أساليب الاتصال بدون ارتباطه بهويات محددة للقائمين عليه والممارسين له. وبالطبع يختلف تحديد هذه الهويات والملامح المرتبطة بها من أسلوب اتصالي إلى آخر؛ ففي أسلوب الاتصال وجهاً لوجه يعرف أطراف العملية الاتصالية بعضهم بعضاً، حيث إنه من الشروط الضرورية لإتمام هذا الشكل من الاتصال الحضور المادي المتعين للأفراد، فبدون هذا الحضور لا يمكننا نعت هذا الاتصال بأنه نمط اتصال وجهاً لوجه. أما عن طريق الإنترنت عموماً، وعن طريق حجرات الدردشة خصوصاً، فإن هذه الأهمية التى يكتسبها الحضور المادي المتعين للاتصال وجهاً لوجه تتنفي وتفقد أهميتها، وبدلاً عن الدور البالغ الأهمية الذى يلعبه الوجود المادي المتعين، والاستدعاءات المرتبطة به فى تشكيل هويات أطراف العملية الاتصالية، يقوم الأفراد أنفسهم، عن طريق سمة المجهولية التى توفرها لهم حجرات الدردشة، ببناء الهويات الخاصة بهم، حسبما يعين لهم، وبما تجود به أهواؤهم وشخصياتهم.

إن الفرد بمجرد ولوجه حجرات الدردشة يبدأ في تحديد هوية خاصة به تمكن الآخرين من التعرف عليه من خلالها؛ ولذلك فإن الهوية هي أول شيء يفكر فيه المرء حتى قبل دخوله عالم الإنترنت (انظر: راينجولد ١٩٩٣: ٥٧-٨٠؛ وانظر أيضاً: بايم : Baym ١٢٨-١٦٣). وتتسم الهوية التي تتشكل هنا، داخل حجرات الدردشة، بأنها هوية في إطار المجهولية؛ ذلك النوع من الهوية الذي يحافظ على حد ود متفق عليها، ومحكومة بقواعد الشكل الاتصالي، والحيز الضخم من الحرية الذي يتيحها، بما يسمح في النهاية بقدر ما من التواصل والفهم المتبادلين، وإلا تفقد العملية الاتصالية أحد أهم أركانها؛ أعني الفهم والتأثير المتبادلين. إن صفة المجهولية هذه لا تعني أن أطراف العملية الاتصالية المشاركين في حجرات الدردشة يجهد بعضهم بعضاً كلياً، لكن الأمر يعني أنهم لا يتوافقون على ذلك القدر من المعرفة التي توفرها أشكال الاتصال الأخرى، وبشكل خاص الاتصال وجهاً لوجه.

ويتم تحديد الهوية في حجرات الدردشة ليس من خلال مكانة الفرد ووضعه الاجتماعي، ولكن يتم ذلك من خلال جدارته في التعبير عن نفسه، وقدرته على الاستمرار في النقاش والتعبير عن ذاته وعن أفكاره؛ بحيث يمكننا القول في النهاية، إن هوية الفرد هنا تكمن فيما يقوله، وبشكل أكثر تحديداً وفيما يخص الدراسة الراهنة، في ضوء ما يكتبه من خلال لوحة الحاسب الآلي أثناء استغراقه في مناقشات حجرات الدردشة، أي إن الهوية يتم تحديدها وتشكيل عناصرها من خلال اللغة. ويشير هامان Hamman (١٩٩٦ و١٩٩٧) إلى أن كمية المعلومات التي يتم نقلها من خلال أدوات الاتصال العادي؛ مثل العلاقات وجهاً لوجه أكبر بكثير منها عبر الإنترنت، ولذلك يُطلق على الأولى نمط الاتصال ذو المعلومات العريضة-Wide Bandwidth، في حين يُطلق على الثانية نمط الاتصال ذو المعلومات المحدودة Narrow-Bandwidth. فالإتصال وجهاً لوجه يرتبط بأشكال عدة من التواصل والتفاعل؛ مثل الحديث، والإيماءات، وتعبيرات الوجه، إضافة إلى سلسلة كاملة من

الإشارات المتنوعة، في حين أنه في الاتصال عن طريق الإنترنت، فالكلمة المكتوبة هي غالباً أداة الاتصال الوحيدة والمتعارف عليها، لذلك فإن المعلومات المهمة الخاصة بأطراف عملية الاتصال غير متوافرة في هذا السياق ( انظر أيضاً: رايد Reid ١٩٩١ ؛ كايزلر وآخرين (Kiesler et. al. ١٩٨٤ : ١١-٢٦) <sup>(١)</sup> . إضافة إلى ذلك، فإن أطراف العملية الاتصالية لا يعلمون شيئاً عن ظروف البيئة المحيطة بكل طرف من أطراف عملية الاتصال وأحوالها؛ بمعنى آخر أين يجلس؟ ماذا يرتدي؟ من أي بلد وفي أي مكان في العالم؟ وما طبيعة الطقس في ذلك المكان؟ وما الحالة النفسية والمزاجية للشخص ذاته؟...إلخ. من هنا، ترى رايد Reid، ١٩٩١ أن هذا النوع من الاتصال خلال الإنترنت يفكك ما تُعورف عليه في شكل الاتصال التقليدي، فهو اتصال تفكيكي في الأساس، ويتفق مع ما تراه رايد Reid بأنه يمثل شكلاً للاتصال ما بعد الحدائث Post-Modernism Communication.

## ٢ - حرية التعبير وعدم التقيد بالسياقات المكانية

لعل ما يمنح الإنترنت، بشكل عام، وحجرات الدردشة، بشكل خاص، مثل هذا الحيز الضخم من الحرية، وعدم الخضوع للمعايير والقوانين المنظمة والمقيدة لأشكال الاتصال الأخرى، هو عامل المجهولية الذي يتمتع به الأفراد إبان نقاشاتهم وأنشطتهم الاتصالية؛ فكونهم مجهولين يمنحهم حيزاً كبيراً من الحرية التي تمكنهم من قول ما يريدون بدون خوف أو وجل. فالإنترنت تسمح لمستخدميها أن يتجاوزوا قيود الحياة اليومية المفروضة عليهم (قيود الملبس والتأنيق، وقيود المكان، وقيود اللغة ومحدداتها، والأطر الاجتماعية للكمياسة والذوق والأدب...إلخ). كما أنها تسمح للفرد أن يكون ما يريد وما يحبه؛ كل المطلوب منه، بشكل خاص في حجرات الدردشة، أن يختار الاسم المستعار Nickname الذي يريد أن يلج حجرات الدردشة به من جانب، ويريد للآخرين أن يعرفوه ويتواصلوا معه من خلاله من

جانِبٍ آخَرَ. وَلِكُلِّ فَرْدٍ مَطْلُقَ الحَرِيَّةِ فِي أَنْ يَخْتَارَ اللِّقْبَ الَّذِي يَرِيدُهُ وَيَبْغِيهِ؛ فَقَدْ يَخْتَارُ الذَّكَرَ اسْمًا أُنْثَوِيًّا، وَقَدْ تَخْتَارُ الْأُنْثَى اسْمًا ذَكَوِيًّا Gender Switching، وَقَدْ يَخْتَارُ أَيُّ مَنَّهُمَا اسْمَ نَبَاتٍ أَوْ حَيَوَانَ أَوْ اسْمَ زَعِيمٍ سِيَاسِيٍّ أَوْ مِمْتَلٍ/مِمْتَلَةٍ أَوْ اسْمَ رِيَاضِيٍّ شَهِيرٍ.. إلخ مِنْ الْاِخْتِيَارَاتِ الَّتِي يَصْعَبُ عَلَيَّ أَيُّ كَانَ حَصْرُهَا، وَالَّتِي تَتَعَدَّدُ وَتَتَنَوَّعُ تَعَدُّدًا وَتَنَوُّعًا عَقُولٍ وَالْاِخْتِيَارَاتِ وَالْأَهْوَاءِ وَالتَّحَوُّلَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَنَوُّعِهَا (انظُرْ، يُونَج: Young ب.ت؛ وَانظُرْ أَيْضًا رَايْنَجُولْد ١٩٩٣؛ Online).

إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، تَوْفَّرَ حَجَرَاتُ الدَّرْدِشَةِ حَيْزًا ضَخْمًا مِنَ الْاِخْتِيَارَاتِ وَالْاهْتِمَامَاتِ؛ فَالْفَرْدُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْدُدَ بَدَايَةَ نَوْعِيَّةِ الْحَجَرَاتِ الَّتِي يُوَدُّ الدَّخُولَ إِلَيْهَا، وَنَوْعِيَّةِ النِّقَاشَاتِ وَالْاهْتِمَامَاتِ الَّتِي يَبْغِي الْإِسْهَامَ فِيهَا، كَمَا أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِحَرِيَّةِ الْكِتَابَةِ إِلَى أَشْخَاصٍ مَعْيَنِينَ دُونَ الْآخَرِينَ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ مَسْتَحْدِمِي حَجَرَاتِ الدَّرْدِشَةِ لَدَيْهِمْ حَرِيَّةَ الْاِخْتِيَارِ فِي الْأَيِّ شَرَكُوا أَسْلًا فِي النِّقَاشَاتِ الْجَارِيَةِ فِي هَذِهِ الْحَجَرَاتِ. إِنَّ ثَنَائِيَّةَ السُّلْطَةِ/الْجُمْهُورِ Authority-Audience Dichotomy الَّتِي تَسْمُ وَسَائِلَ الْاِتِّصَالِ التَّقْلِيدِيَّةِ، مِثْلَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ جِهَازِ التَّلْفَازِ وَالْجُمْهُورِ، تَفْقَدُ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، وَجُودَهَا وَتَأْثِيرَهَا فِي نَمَطِ الْاِتِّصَالِ الَّذِي يَتِمُّ دَاخِلَ حَجَرَاتِ الدَّرْدِشَةِ (See, Conversation Analysis: Online). فَالْعِلَاقَةُ، بِشَكْلِ عَامٍ لَا تَتَسَمَّى بِالْحَطِيَّةِ الَّتِي تَسْمُ عِلَاقَاتِ السُّلْطَةِ/الْجُمْهُورِ فِي نَمَطِ الْاِتِّصَالِ التَّقْلِيدِيِّ، بَلْ هِيَ عِلَاقَةُ جَدَلِيَّةٍ يَحْكُمُهَا فِي النِّهَايَةِ اسْتِخْدَامَاتُ اللُّغَةِ، وَالتَّفَاوُتَاتُ بَيْنَ الْأَفْرَادِ بِالنَّظَرِ إِلَى هَذِهِ الْإِمْكَانِيَّةِ. فَكُونَ الْمَجْهُولِيَّةِ تَمَثَّلُ أَحَدَ أَهْمِ أَرْكَانِ نَمَطِ اِتِّصَالِ حَجَرَاتِ الدَّرْدِشَةِ، يَجْعَلُ هَذَا الْمَجْتَمَعَ غَيْرَ مَبْنَى، وَغَيْرَ مَوْسَسٍ، إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ، عَلَى أَيَّةِ مَعَايِيرٍ مَرْتَبِيَّةٍ، حَيْثُ يَصْبِحُ الْمَعْيَارُ الرَّئِيسُ، وَالْمَحْدَدُ النَّهَائِيُّ، هُوَ التَّفَاعُلُ الثَّقَائِفِيُّ مِنَ النِّقَاشِ، وَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَقَدْرَةُ الْفَرْدِ عَلَى النِّقَاشِ، وَعَرَضُ ذَاتِهِ مِنْ خِلَالِ اللُّغَةِ، وَمِنْ خِلَالِ النَّصِّ الْمَكْتُوبِ، وَلَيْسَ مِنْ خِلَالِ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. وَيُؤَكِّدُ جُونَز Jones أَنَّ الْقِرَاءَةَ، وَهِيَ بِالطَّبَعِ الْوَسِيلَةُ النَّاجِمَةُ عَنِ الْكِتَابَةِ وَمُرْتَبِطَةٌ بِهَا فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ، هِيَ الْوَسِيلَةُ

الأساسية التي يتواصل من خلالها المستخدمون من خلال الإنترنت (انظر جونز Jones :١٩٩٧ :١٣-١٤).

إن الشيء اللافت للنظر هنا أن فعلى القراءة والكتابة، وهما وسيلتا الاتصال الرئيستان على صفحات الإنترنت وفي حجرات الدردشة، عادة ما يحدثان في الحياة اليومية في إطار العزلة؛ بمعنى أننا نكتب منعزلين عن الآخرين، كما أن معظم قراءاتنا عادةً ما تتم في إطار من العزلة والفردية، لكن الإنترنت وحجرات الدردشة قد أسبغتنا بعداً جماعياً عليهما، بحيث يمكننا أن نطلق على هذا الأسلوب من الاتصال «اتصال جماعية العزلة»، وهذه إحدى مفارقات اتصال الإنترنت بشكل عام، وحجرات الدردشة بشكل خاص. وفي هذا السياق، يؤكد جونز Jones أننا من خلال القراءة القائمة على العزلة نتواصل مع الآخرين، فنحن، ومن خلال نمط الاتصال القائم عبر فضاء الإنترنت، لا يمكننا أن نكون بمفردنا، لكننا، في الوقت نفسه، ومن خلال آلية القراءة والكتابة نكون في القلب من هذه العزلة (انظر جونز Jones :١٩٩٧ :١٣-١٤).

### ٣- المساواة بين أطراف النقاش

وكما ارتبطت الحرية التي تكفلها وسائل الاتصال داخل حجرات الدردشة بخاصية المجهولية التي تتسم بها هذه الوسائل، فإن المساواة بين أطراف هذا النوع من الاتصال ترتبط بالحرية التي يتمتع بها أطراف النقاش. فطالما أن كل فرد غير معروف للآخرين، وهو حر في أن يقول ما يشاء، ويفعل ما يشاء، فإن أطراف هذه العلاقة سوف يتمتعون بقدر كبير من المساواة غير المتوافرة في أشكال الاتصال الأخرى. ويظهر هذا القدر من الحرية من خلال الإمكانيات الواقعية التي يتمتع بها الأفراد في المشاركة في الحوار والنقاش والجدل، بحيث يمكننا القول بأنه ليس بمكنة فرد معين أن ينفرد بالنقاش، أو يوجهه الوجهة التي يبتغيها، فكل الأفراد سواء،



بالنظر إلى هذه المسألة، حتى إن بدت أفكارهم سطحية بالقياس إلى أفكار الآخرين.

وعلى الرغم من هذه الحالة من المساواة التي يتمتع بها أطراف العلاقة في غرف الدردشة، نجد أن الأمر لا يمنع من وجود قدر ما من اللوائح والقواعد المنظمة لعمل هذه الغرف (انظر: كايزلر وآخرين Kiesler et. al. 1984: 11-26). فأولاً يوجد مدير Administrator لهذه الغرف، هو الذي يقوم بفتح الغرفة وإغلاقها، كما أنه هو الوحيد الذي يمتلك إماكن طرد الأفراد الذين يتجاوزون القواعد المقررة للغرفة. إضافة إلى ذلك، يمتلك سائر أفراد الغرفة القدرة على اختيار الموضوعات التي يريدون مناقشتها، وكيفية توجيه النقاش، كما أن لهم سلطات واسعة في طرد الأفراد المخالفين للقواعد المعمول بها<sup>(٧)</sup>. إذ قد يستخدم بعض الأفراد ألفاظاً ولغة غير ملائمة وغير متوائمة مع توجهات بقية أفراد الحجرة، الأمر الذي يستدعي طردهم من المناقشة. ولذلك فإن هناك الكثير من الحجرات التي تعلن بدايةً عن عدد من القواعد؛ مثل عدم استخدام اللغة الخادشة للحياء، أو عدم التطرق إلى الموضوعات السياسية أو الدينية... إلخ، من مثل هذه الموضوعات المثيرة للجدل والاختلاف.

الأهداف والتساؤلات والمنهج:

تهدف الدراسة الراهنة إلى أن ترصد وأن تبين تأثيرات الإنترنت في اللغة وكيفية استخدامها، وذلك من خلال التركيز على أحد مواقع الدردشة Chat المعروفة عالمياً باسم البال تووك Paltalk. فالدراسة، وإن كانت تضع في الحسبان تأثيرات الإنترنت بعامه، سوف يكون محور تركيزها هو حجرات الدردشة العربية تحديداً، في برنامج البال تووك. إن الهدف الأعمق من وراء دراسة حجرات الدردشة العربية، والوقوف على تجليات اللغة الجديدة المستخدمة، يفترض سلفاً أن هذا الاستخدام للغة يمكن التعامل معه، بالمعنى ما بعد الحداثي، بوصفه معادلاً موضوعياً لتحولات الثورة الرقمية الكونية الجديدة، وما تقوم به من تأثيرات مختلفة في كل أرجاء الأرض، من

هنا يمكن مد خطوط التحليل والتفسير الخاصة بحجرات الدردشة لتمثل بالنسبة لنا واجهة وفضاء مساوياً ومعادلاً لما يحدث في عالمنا العربي. (انظر كيف أن الإنترنت يمكن استخدامها بوصفها فضاء ثقافياً جديداً للثقافة والتطور والإبداع في ماروتزكي (Marotzki)). ومن خلال ذلك، فإن الدراسة الراهنة تهدف إلى تعرف شكل اللغة المستخدمة داخل حجرات الدردشة وطبيعتها، ومدى اختلافها عن لغة الجمهور العادي، وماهية الدلالات الاجتماعية للغة المستخدمة داخل حجرات الدردشة.

وفي ضوء ذلك يمكننا صياغة تساؤلات الدراسة على النحو الآتي:

١- ما شكل وما طبيعة اللغة التي يستخدمها المتعاملون مع الإنترنت وحجرات الدردشة؟

٢- هل تختلف هذه اللغة عن لغة الجمهور العادية، أو أن التعامل مع الإنترنت يفرض شكلاً لغوياً جديداً يختلف عن حدود اللغة المتعارف عليها في الواقع الاجتماعي الحقيقي من خلال تعاملات الحياة اليومية؟

٣- هل تختلف اللغة ورموزها وأشكالها باختلاف موضوع النقاش، أو أن هناك لغة شبه ثابتة للإنترنت وحجرات الدردشة بغض النظر عن الموضوع المتناول؟

٤- ما طبيعة الأسماء المستعارة Nicknames التي يستخدمها الأفراد في حجرات الدردشة وما أشكالها؟ وما دلالاتها الاجتماعية؟ وهل تتشابه هذه الألقاب مع حدود اللغة المستخدمة في الواقع الاجتماعي الحقيقي أو تختلف؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، يمكن القول إن هناك مناهج محددة أمكن استخدامها في عدد محدود من الدراسات التي أجريت على الإنترنت بعامة، وعلى برامج الدردشة بخاصة. ويميز هذه المناهج المرونة التي تعاملت بها منهجياً مع موضوع الدراسة من جانب، وجمهور الدراسة من جانب آخر. كما تميزت هذه المناهج أيضاً بشيء فريد يميزها من أشكال البحث الأخرى وطرقها، ذلك أن أداة

وصولنا إلى المبحوث تتم من خلال الأداة نفسها التي يستخدمها المبحوث، ألا وهي الإنترنت ووسائطها المختلفة. وفي هذا السياق، يرى حمادة أن «وسائل الاتصال الجماهيري الجديدة قدمت للباحثين أدوات للبحث وجمع المعلومات وتحليلها وتخزينها لم تكن متاحة لدى الوسائل التقليدية» (حمادة ١٤). فيونج Young في بحثها الرائد عن إدمان الإنترنت، الذي قدمته في المؤتمر الرابع بعد المائة للجمعية الأمريكية لعلم النفس عام ١٩٩٦، قد استخدمت استبانة تضم عدداً محدوداً من الأسئلة التي تكشف عن مدى إدمان الفرد للإنترنت. المهم في هذه الاستبانة أنها قد استخدمت الإنترنت ذاتها في إجرائها، حيث أرسلت الاستبانة إلى عدد من المواقع على الإنترنت، التي يمكن للمستخدمين من خلالها أن يستقبلوا هذه الاستبانة، والرسالة المصاحبة لها من قبل الباحثة، والتي تخبرهم فيها عن طبيعة بحثها والاستبانة التي تقوم بها. والشيء اللافت للنظر هنا، أن استخدام الإنترنت بوصفها وسيلة لجمع البيانات من قبل الباحثة قد وفر لها إمكان الحصول على ٤٩٦ استجابة من قبل المبحوثين مكنتها من إجراء بحثها الرائد عن الإدمان في الإنترنت، والإجابة عن تساؤلها البالغ الأهمية الخاص بـ: متى يمكننا أن نطلق على شخص ما أنه قد أصبح مدمناً للإنترنت؟ بل إنه قد ساعدها أيضاً، وبشكل أولى، على تقديم مقترحات علاجية، من وجهة نظر علم النفس، تساعد على التخفيف من حدة هذا الإدمان، وآثاره المجتمعية والأسرية والنفسية السلبية.

وفي دراسته المهمة، والمفيدة للبحث الراهن، يحاول هامان (Hamman) (١٩٩٧) تطبيق المنهج الإثنوجرافي Ethnographic Method لدراسة السلوك الجنسي Cybersex الذي يتم عن طريق حجرات الدردشة من قبل المستخدمين لشركة أمريكا أون لاين AOL. ويؤكد هامان بعض الصعوبات التي واجهته في تطبيق هذا المنهج. فنظراً لعدم مقابلة هؤلاء المستخدمين، حيث يتم الاعتماد على المقابلات والاستبانات عن طريق شبكة الإنترنت، فإن هذا قد يؤدي، في كثير من الأحيان، إلى

سوء تفسير الاستجابات والبيانات الحاصل عليها من قبل المستخدمين، ولعل ذلك يتأتى من طبيعة البحوث التى تتم عن طريق الإنترنت، والتي تعتمد فى الأساس على تحليل النص، أو بشكل أكثر تحديداً، الكلمة المكتوبة أكثر من أي شيء آخر. وإضافة إلى ذلك، فإنه، وكما ذكرنا آنفاً، يصعب مع البحوث التى تُجرى على صفحات الإنترنت، وداخل حجرات الدردشة، وجود مقياس مقنن وموضوعي يمكن من خلاله التأكد من نوعية الجمهور الذي نتعامل معه. إن الباحث هنا لا يجد أمامه، وفى بعض الحالات، سوى المعلومات والبيانات التى يكتبها المبحوث عن نفسه فى صفحة البروفايل Profile الخاصة به والمتوافرة على الإنترنت، حيث يضع المبحوث فى هذا البروفايل معلومات محدودة جداً وضيئة مثل السن والبلد والنوع. والمشكلة التى تواجهنا هنا، أنه حتى فى حالة توافر مثل هذه البيانات، فنحن لا نمتلك إمكان التيقن منها ومعرفة مدى صدقها، آخذين فى الحسبان، وكما ذكرنا سابقاً، أن عالم الإنترنت، بشكل عام، وحجرات الدردشة بشكل خاص، هو عالم المجهولية، والهويات المستعارة.

وكما استخدم هامان المنهج الإثنوجرافى فى دراسته السالفة الذكر، فإن الدراسة الراهنة سوف تتبنى هذا المنهج فى جانبه الوصفي Descriptive ، والتفسيري Interpretive من خلال دراسة طبيعة اللغة المستخدمة فى حجرات الدردشة العربية، والمتوافرة خلال برنامج البال توك Paltalk. وإذا كان هذا المنهج قد تم استخدامه، من قبل مالينوفسكي Malinowski فى العشرينات من القرن الماضى، حينما درس مجتمع التروبرياندى فى غينيا الجديدة The Trobrind Islanders of New Guinea ، كما تم استخدامه، بشكل واسع من قبل مدرسة شيكاغو لدراسة المجتمعات المحلية الحضرية، فإنه قد تم تطبيقه على مجتمعات فعلية، ومن خلال نمط الاتصال وجهاً لوجه. أما هنا، فتطبيقه على الإنترنت وحجرات الدردشة يتم من خلال المجتمعات المتخيلة، حيث يحل فضاء الإنترنت محل الجغرافيا، وتصبح

الكلمة بديلاً عن البشر. يركز المنهج الإثنوجرافي على الملاحظة المباشرة لسلوك الجماعة الاجتماعية، حيث ينصب الاهتمام هنا على الوصف التفصيلي والدقيق لثقافة الجماعة في تفاصيلها الصغرى. وهو ما سوف نركز عليه الدراسة الراهنة، من حيث التركيز على لغة الدردشة التي تتم في الحجرات العربية. بمعنى آخر؛ أننا لن نهتم في هذه المرحلة الوصفية من البحث بتعقب المبحوثين عن طريق شبكة الإنترنت، سواء من خلال البريد الإلكتروني أو من خلال المقابلات الفردية، لكننا سوف نركز جهدنا في هذه المرحلة على دخول هذه الحجرات والمكوث فيها، بدون المشاركة، اللهم إلا إذا كانت هذه المشاركة سوف تساعد على فهم ما استغلقت علينا من هذه المناقشات والدردشات.

### الجانب التحليلي

في الموقع الخاص بشركة البال تووك [paltalk.com](http://paltalk.com) تعرّف الشركة نفسها على أنها «شركة خاصة تهدف، بشكل رئيس، إلى تشوير الطريقة التي يتواصل بها الناس حول العالم، وذلك من خلال استخدام الإنترنت». إذاً فالوسيلة التي تستند إليها الشركة في تدعيم الاتصال المعاصر هي الإنترنت. وفي هذا السياق، تدعم الشركة عملية الاتصال بشقيها القائم على الصوت من ناحية، والقائم على الصورة من ناحية أخرى. وتعد شركة بال تووك- التي بدأت أعمالها في أوائل عام ١٩٩٨- من أوائل الشركات التي بدأت خدمات الاتصال الخاصة بالإنترنت في العالم. « ففي ديسمبر عام ١٩٩٨، كانت شركة بال تووك أولى الشركات في العالم التي توفر اتصالات الصوت الحي، مصحوبة في الوقت نفسه بإمكان تبادل الرسائل المكتوبة بين المستخدمين، حيث ساعد ذلك عملاء الشركة على الاتصال بأصدقائهم وعائلاتهم من أي مكان، وفي أي مكان، في العالم، بشكل سهل وبدون مقابل. ومنذ ذلك الوقت، أضافت الشركة، بشكل مستمر ومتواصل، أشكالاً جديدة ومتطورة من

أدوات الاتصال والتكنولوجيا؛ مثل مؤتمرات الفيديو Video Conferencing، والمؤتمرات التي يشترك فيها أكثر من جماعة عن طريق الصوت Group Voice Conferencing، والبريد الصوتي Voicemail، وأخيراً إمكان إرسال الملفات وتبادلها File Transfer) (paltalk.com).

ولعل ذلك يتوافق مع هيمنة العولمة، وبشكل خاص، العولمة الإعلامية والأنشطة المختلفة المرتبطة بها. فمع سيادة العولمة الإعلامية ظهر عدد هائل من المواقع الخاصة ببرامج الدردشة؛ مثل الميسنجر، والياهو على صفحات الإنترنت؛ حيث ربطت هذه المواقع المستخدمين عبر مساحات واسعة وأطراف متباينة من العالم. وهو ما يبشر بخلق لغة شبيهة عالمية مستقبلاً ترتبط في الأساس بمستخدمي الإنترنت.

### وصف حجرات الدردشة وتحليلها :

تغطي حجرات الدردشة عن طريق البال تووك مساحة ضخمة من الأنشطة والممارسات النقاشية متباينة ومترامية المشارب والأهداف والأهمية، فبمجرد ولوج المرء برنامج البال تووك يطالعه عدد هائل من الفئات والتصنيفات المختلفة التي تغطي مساحة ضخمة وواسعة من كافة الاتصالات الإنسانية. وبشكل عام، يمكننا أن نصنف هذه الفئات الخاصة بالنقاش، حتى وقت كتابة هذه الدراسة، تحت الفئات الآتية:

١- حسب اللغة والموقع الجغرافي: وتحت هذا التصنيف يتم الارتكاز على اللغة والموقع الجغرافي بوصفهما معيارين أساسيين لتأسيس حجرات الدردشة. فاللغة العربية، على سبيل المثال، تشتمل على ٢١٤ حجرة، كما أن اللغة الإسبانية والبرتغالية تشتمل على ٨٦ حجرة. كما أن منطقة الشرق الأوسط تشتمل على ٢١٠ حجرة، في حين تشتمل القارة الأوربية على ١٦٥ حجرة.

٢- حسب المرحلة العمرية: فالفئة العمرية من ١٢-١٧ سنة تشتمل على ١١

حجرة، في حين الفئة العمرية أكبر من ١٨ سنة تشتمل على ١٧ حجرة.

٣- حسب الدين: فالمسيحية تشتمل على ٥١ حجرة، والإسلام يشتمل على ٢٩ حجرة، في حين تشتمل اليهودية على ٨ حجرات.

٤- حجرات ذات اهتمامات متفرقة: مثل المناقشات الثقافية؛ والمال والأعمال؛ والحب والرومانسية؛ والموسيقى؛ والأمريكان السود؛ وحجرات المثلية الجنسية من الرجال والنساء؛ والحجرات المخصصة للمناقشات والأحاديث الجنسية، وغيرها من الحجرات الأخرى التي يضيق المقام هنا عن حصرها.

ويلاحظ أن هذه الحجرات غير ثابتة، بمعنى أنها قد تنشأ لغرض معين ومرحلي؛ مثل الدفاع عن حركة طالبان، أو الدفاع عن أسامة بن لادن والمهاجرين العرب، أو حتى بغرض سماع الموسيقى، ثم تتلاشى بعد ذلك ولا يوجد من يتابعها. وإضافة إلى ذلك، توجد حجرات تستمر لمدة طويلة، وبشكل خاص الحجرات الدينية. إن القانون المحوري للإنترنت هو الحركة والتغير الدائم، فكما يتغير المستخدمون، من يوم ليووم، ومن ساعة لأخرى، تتغير أيضاً الحجرات التي يُنشئها المستخدمون بسرعة كبيرة.

من بين هذه الفئات المختلفة، ركزت الدراسة الراهنة على الحجرات العربية، بوصفها المجال الجغرافي، أو الحقل الميداني الذي نهدف إلى دراسته، ووصفه، ثم تحليله. وإذا كان الباحث الإثنوجرافي يعاني من الصعوبات التي قد تواجهه، بشكل خاص، في ولوج الميدان، ومعرفة لغة المبحوثين، والتسجيل الآني والدقيق، فإن الباحث الذي يقتفى أثر التفاصيل الإثنوجرافية على صفحات الإنترنت، لا تواجهه مثل هذه الصعوبات. فالباحث هنا لا يحتاج إلى وسيط يقدمه لمجتمع الإنترنت، كما أنه لا يحتاج إلى إخباريين يخبرونه بتفاصيل المجتمع المدروس، كل ما عليه أن يقوم به هو أن يدخل إلى الإنترنت، ثم بعد ذلك إلى حجرات الدردشة، كأى مستخدم آخر، ثم يرصد ما يحدث، اللهم إلا إذا احتاج إلى إجراء مقابلات مع أفراد معينين،

فإن عليه في هذه الحالة أن يقدم نفسه، ويشرح طبيعة بحثه والهدف من إجراءاته للمبشرين.

بدايةً، إن الباحث على ألفة قديمة بطبيعة برنامج البال توك على وجه العموم، والحجرات العربية منه على وجه الخصوص. ولعل ذلك قد وفر له الوقت الذي يحتاج إليه الباحثون حتى يخلقوا ويوجدوا ذلك القدر المطلوب من الألفة الاجتماعية والعلمية، التي تساعدهم، بشكل كبير، على وصف المجتمعات التي يقومون بدراساتها وتحليلها. وفي الدراسة الراهنة، لم يكن الهدف يستدعي ارتباط المنهج الإثنوجرافي بالمشاركة، قدر ما استدعى اختيار اسم مستعار جديد Nickname، غير الذي اعتدت الدخول به إلى هذه الحجرات، والذي تربطني من خلاله بعض العلاقات بالمستخدمين الآخرين، ثم الدخول إلى هذه الحجرات والملاحظة الدقيقة والمتأنية لكل التعليقات المختلفة المرتبطة باللغة، وأشكالها، والمستجدات المرتبطة بها، وتسجيلها أولاً بأول.

إن ما يميز المنهج الإثنوجرافي لدى تطبيقه هنا، أقصد من خلال فضاء الإنترنت بشكل عام، وفي حجرات الدردشة على وجه الخصوص، من التطبيقات المرتبطة به في العالم الحقيقي، أي في المجتمعات الفعلية، حيث يعتمد الباحث على الملاحظة بالمشاركة، والاتصال وجهاً لوجه بجمهور البحث - هو إمكان التسجيل الفوري والدقيق، حيث يتم تسجيل ما يقوله المبحوثون بشكل حر، وكما يتفوهون به، بدون أي تدخل من قبل الباحث، وهنا يتم التسجيل من خلال الكمبيوتر، بدلاً عن جهاز التسجيل الذي يمكن استخدامه في بعض البحوث، مع ما يثيره ذلك من مشكلات ورفض من جانب كثير من المبحوثين في البحوث القائمة على الاتصال وجهاً لوجه. وإضافة إلى آنية ودقة التسجيل، اللذين يتسم بهما إجراء البحوث من خلال الإنترنت، فإن سمة الجهولية وعدم الخوف والتردد التي يتمتع بهما المبحوثون تساعدهم على الكتابة والتحدث، بشكل كبير ومتدفق وغزير، على عكس البحوث



التي تعتمد على الاتصال المباشر بالمبحوثين، والتي تتسم بالاقتضاب والخوف والتردد من قبل المبحوثين، وهو الأمر الذي ينعكس، بشكل ما، على طبيعة المادة التي يتم الحصول عليها.

وبخصوص الدراسة الراهنة، فإننا لم نواجه مثل هذه المشكلات التي قد يواجهها الباحثون في البحوث الميدانية التي تعتمد على الاتصال وجهاً لوجه، وتطبيق أدوات البحوث المتعارف عليها؛ مثل الاستبانات، والمسوح الاجتماعية، ودراسات الحالة. ففي خلال ما يقرب من مائتي ساعة من ولوج هذه الحجرات والمكوث فيها، ولمدة تقترب من الشهرين<sup>(8)</sup>، واعتماداً على الخبرة الذاتية الطويلة للباحث بهذه الحجرات، أمكن عمل تصنيف أولى لهذه الحجرات العربية، يمكن إيجازها فيما يأتي، آخذين في الحسبان أن هذه الحجرات غير ثابتة، حيث يظهر البعض منها، ويختفى البعض الآخر، حسب مقتضيات الظروف التي أدت إلى نشأة هذه الحجرات، وحسب طبيعة التغيرات السياسية والاجتماعية في عالمنا العربي.

### ١- الحجرات الدينية

وهي أكثر ثباتاً من بين مختلف الحجرات، كما أنها أعلى سقفاً بالنسبة لعدد المرتادين، إذ غالباً ما تأتي في المرتبة الثانية بعد حجرات الدردشة الجنسية Cybersex، التي دائماً ما تكون من أعلى الحجرات اكتظاظاً بالمرتادين سواء في النهار أو في الليل<sup>(9)</sup>. وتشمل هذه الحجرات كلاً من الدين الإسلامي والدين المسيحي؛ حيث يلاحظ هنا أن الأقباط المصريين هم أكثر اهتماماً من بين كافة المستخدمين العرب بإنشاء مثل هذه النوعية من الحجرات، حيث تُستخدم هذه الحجرات للهجوم على فكر الأغلبية وتوجهاتهم، مدعومة في ذلك بالهجمة العالمية الشرسة على الإسلام بشكل عام، والمنطقة العربية بشكل خاص، وفي أحيان أخرى تُستخدم هذه الحجرات لمناقشة الجوانب الدينية، والدفاع عن المسيح، وحقوق

الأقليات؛ فعلى سبيل المثال تشمل هذه الحجرات<sup>(١٠)</sup>:

+++ If God is 4 us,Who can be against us?!! <sup>(١١)</sup>

++We Will Always Love U Again & Again

وعلى الدرجة نفسها من الأهمية، يوجد عدد أكبر من الحجرات ذات التوجه الإسلامي، التي تتعدد أغراضها، بدءاً من الدعوة الإسلامية، وعقد الندوات، ومناقشة الموضوعات المختلفة؛ مثل الرد على مزاعم الحجرات الأخرى، وواقع الأمة الإسلامية المعاصر، وحال المرأة المسلمة، والعبادات، ومناقشة مختلف الأمور الفقهية التي تهتم جماع المسلمين... إلخ من هذه الموضوعات المختلفة. ومن هذه الحجرات: AIAnsar الإصلاح؛ حامل المسك؛ لا إله إلا الله محمد لا إله إلا الله

## ٢- حجرات حسب الجنسية

هنا يتم تصنيف هذه الحجرات حسب جنسية منشئها، وهنا تكون الحجرة بمثابة نادى اجتماعي لأبناء الجنسية الواحدة واللهجة الواحدة، وإن كان الأمر لا يستبعد، في أحيان كثيرة، انضمام أفراد آخرين من جنسيات عربية أو حتى أجنبية والاشتراك في مثل هذه الحجرات. وتمثل هذه الحجرات مكاناً مفضلاً بالنسبة لأبناء البلد الواحد سواء من المقيمين أو من المهاجرين؛ فالمواطن المصري سوف يبحث بدايةً عن الحجرات المصرية، وينطبق القول نفسه على المواطن السوري، والمواطن السوداني، والمواطن اللبناني... إلخ فالبحث عن الأشباه سلوك إنسانى طبيعى. ومن هذه الحجرات:

Egypt In Cyberspace

Egyptian International Club EI-Nady EI-masry

Kuwait Free Chat ؛KSA +3enb +KSA

UAE----3yoon-alemarat--- UAE

### ٣ - حجرات ذات اهتمامات متنوعة

وهي أيضاً تتبع جنسيات معينة، لكنها لا تعلن ذلك في العنوان الخاص بها؛ مثل حجرات الشباب، أو الحجرات الخاصة بالفناء والموسيقى. ومن هذه الحجرات:

Arabic Music For all؛ Arabian Music؛ 3ash SDDAM

ShaBaB al ISLAH؛ Mazika؛ Arabic English Music 4 all

إن معظم هذه الحجرات متاحة لكل المستخدمين، فيما عدا بعض الحجرات التي تستدعى استخدام كلمة سر معينة Password لدخول هذه الحجرات. وتتسم هذه الحجرات بكثرة العدد، كما أنها تتفاوت في عدد مراتديها، فالبعض منها، وبشكل خاص القديم منها على هذا الموقع؛ مثل Arabic Music 4 all، يتسم بكثرة عدد مراتديه، والبعض الآخر والأكثر حداثةً؛ مثل 3ash SDDAM، يتسم بالآنية وبجمهور محدد وضيق النطاق نسبياً. ويمكن القول إن هذه الحجرات تعكس، بشكل كبير، طبيعة التوجهات السياسية والدينية الخاصة بالعالم العربي المعاصر، حيث ينقل المستخدمون همومهم وانقساماتهم إلى هذه الحجرات، كما ينقلون معهم هموم أوطانهم المختلفة، والمشكلات الوطنية التي تواجههم.

#### - وصف الأسماء المستعارة وتحليلها:

الأسماء المستعارة Nicknames هي الأسماء التي يتخذها الفرد قبل دخوله إلى حجرات الدردشة، والتي توفر له ذلك القدر الكبير من المجهولية. وصحيح أن بعض المستخدمين يشاركون في المناقشات الصوتية عن طريق الميكروفون المتصل بالكمبيوتر، معلنين بذلك، على الأقل، عن حقيقة نوعهم، ذكراً كان أو أنثى، لكن يظل الفرد، على الرغم من إفصاحه، نوعاً ما عن هويته، مجهولاً بالنسبة للآخرين، فضلاً عن أن البعض يستخدم بعض البرامج التي تتيح له التنكر، وذلك - وكما هو معروف - عن طريق تغيير نبرات صوته، من ذكر إلى أنثى، أو العكس، أو حتى إلى طفل، أو روبوت... إلخ. وفيما يلي سوف نحاول أن نقدم وصفاً تفسيريّاً لهذه

الأسماء، شكلها، وأنواعها، ومضمونها، وعلاقتها بالحجرات التي توجد فيها. يمكن القول إنه لا توجد قاعدة عامة تحكم اختراع الأسماء المستعارة، فكما ذكرت سابقاً، هذه الأسماء متعددة تعدد الأفراد الذين ي اخترعونها، وبحكم حيز الحرية الضخم الذي تتمتع به الإنترنت، بشكل عام، وحجرات الدردشة بشكل خاص. لكننا، وعلى الرغم من ذلك التعدد والتشتت، يمكننا أن نضع تصنيفاً أولياً، يشبه، إلى حد كبير، ذلك التصنيف الذي وضعناه لحجرات الدردشة. فأولاً تبرز الأسماء ذات الدلالة الدينية، بشكل خاص في الحجرات الدينية، بحيث يتخذها الأفراد تكأة يعبرون بها عن توجهاتهم الدينية، والجماعات التي ينتمون إليها. ففي حجرة ALghADeeR ، وهى حجرة شيعية من الطبيعي أن نجد أسماء؛ مثل، Mahdiya ، OmAli ، jaafari1 karbaaalaaey ، saif-alhak-ali Moheb\_Almahdi . وفى حجرة The Call for knowledge ، وهى حجرة إسلامية لأهل السنة، ومفتوحة طوال اليوم، يجد المرء الأسماء الآتية: 2003- Al- 100. MAKKA ، MU1IBBAt-ALKA7BA ، Fatema azzahra ، Mesk We will tell U!!! . وفى حجرة Om Salama\_1، Al Faarouk 51، Khadijah- Al-Al- ، insan yasou3y ، Why Jesus is Disappointed? ، 4 ، Saleeb Elrab ، Magdalya 1، ONLY JESUS- ، Blue-Cross ، Ma7abbaa Jesus the only God ، Coptic oath ، Christ3<sup>(13)</sup> . ويلاحظ في هذه الأسماء الدينية أنها تعبر عن شخصيات وأماكن تاريخية، وعن مذاهب دينية، وأخيراً عن صفات أخلاقية ترتبط بالأديان. وعلى الرغم من وجود هذه الأسماء ذات الدلالات الدينية، فإنه يوجد عدد كبير من الأسماء الأخرى غير الدينية، بل إن المرء يمكنه القول إن وجود هذه الأسماء غير الدينية هو الأكثر شيوعاً في حجرات الدردشة الدينية، على نحو ما سيرد ذكره في بقية التصنيف.

إذا كانت الأسماء الدينية دالة بذاتها على النحو الذي يمكن معه تصنيفها في

خانة الأسماء الدينية، فإن الأمر بالغ الصعوبة مع بقية الأسماء، المتعددة والمتنوعة، تعدد الفكر الإنساني وتنوعه، كما ذكرت آنفاً. فحركة المستخدمين من حجرة إلى أخرى يُصعب من عملية إيجاد ارتباط بين جملة أسماء معينة، وحجرة محددة؛ فحجرات الدردشة، مثلها مثل فضاء الإنترنت، تتسم بسهولة حركة مستخدميها، من حجرة إلى أخرى، ومن جماعة إلى أخرى، ومن موضوع إلى آخر، لذلك يصعب القول بوجود جماعة محددة من الأفراد/الأسماء ترتبط بحجرة واحدة من حجرات الدردشة فحسب، إلا فيما ندر. وربما تكشف مجموعة الأسماء الآتية الصعوبات التي تكتنف أية محاولة لتصنيفها، وذلك بسبب التعدد والتنوع الشديدين المرتبطين بهذه الأسماء؛ ومن هذه الأسماء ما يأتي: vip secret ، Ana\_wenta\_wbs1 ، baqaya\_Jroooo 7، HAZALA-1، 3en AL7asooD ، AL3asal Wa9L، ، Rana-2.Roura ، ssawa7aaaa ، Folla\_ 2، Bent-al Akaber ، Walla 2009 8، marlboro8i8 ، zamzom 11، King love\_1\_14 ، Happy Tear .Jar-AAmaR 11 ، Mar7ooom\_ ، La\_La\_82K

هل يمكن وضع تصنيف، واسع وفضفاض، لكل هذا التعدد والتنوع من أشكال الأسماء المختلفة؟ بالطبع يمكن إيجاد بعض الملامح العامة التي يمكن أن تقدم تقسيماً وتفسيراً أولياً، لكل هذا الشتات. أولاً يمكن أن نشير إلى أن جانباً كبيراً من هذه الأسماء يختص بالتوصيف المادي، والشخصي الذاتي الخاص بالمتحدث سواء أكان ذكراً أم أنثى. فأسماء مثل AL3asal Wa9L ، baqaya\_Jroooo ، sly \_ fighter ، Bent\_Sha3nona.Mar7000m\_ ، ssawa7aaaa، Happyyear ، mysteriousma-81 ، X-ASAD-X 3.wild rose\_ ، irahabi\_1، Bent-al Akaber ، AZ3AAR\_AL7OOb ، K2eeb ، 3asal62.awtar 7azeena ، CcRrAaZzYy ، red\_rose00 ، layth\_6 ، rayeek-1 ، هي أسماء تشير كلها إلى جوانب وصفات خاصة بالفاعلين الاجتماعيين، حتى وإن لم يحملوا هذه السمات، وهي حالة تتوافق،

بشكل أو بآخر، مع تقشى المرجعية الفردية في توجهاتنا المعاصرة، سواء على مستوى الجماعات المحدودة أو على مستوى الدول القطرية. ويظهر هذا الشكل الفردي، بشكل كبير في الاهتمام بالصفات المادية الخارجية أكثر من أي شيء آخر، بخاصة لدى الإناث. ولننظر مثلاً إلى الأسماء الآتية، لنرى كم التركيز والانغلاق على المسائل الشكلية التي تتعلق بالمظهر الخارجي، ودلالاتها المختلفة: Swet\_4ever1، Raw3a\_Sweden، Folla\_ 2BABAY\_، GHAZALA-، MOZZA GAMDA AWY، Bent\_Amoura، Bent\_Sha1nona، awe t3ma.farawla44، daloo3a\_bas\_amoura، Tofa7aah\_latheetha .daloo3a\_bas\_amoura، green\_eyes، a7la bent fe egypt، superstar1400 وحتى لا يبدو تفسير هذه الأسماء متعسفاً، فإننا لا نقصد هنا أن هذه الأسماء المستعارة تمثل اقتراباً مباشراً من الدلالات الجسدية، لكنها، بالتأكيد تعكس تصوراً أنثوياً لدور الفتاة في المجتمع والشكل المأمول منها، كما تعكس أيضاً استخدامات لغوية قديمة بدلالات جديدة في سياقية جيل الإنترنت الحالي. إضافة إلى ذلك، قد يستخدم الأفراد أسماءهم الشخصية، أو أسماء أشخاص يمتنون إليهم بصلة ما، أو قد يحبونهم أنفسهم اسما ما، فيجدون في حجات الدردشة فرصة لاستخدامه والاستمتاع بملازمته بعض الوقت، وبشكل خاص الأسماء التي تُطلق على سبيل التذليل. ومن هذه الأسماء: Khaled-26، raghrb\_4، ameera\_ 1، maya\_ 220، angella 330، Rana-2، moody41، laila 295. ويرتبط بذلك أيضاً أسماء الكُنيات، كأن يُكنى الشخص بكنية معينة، وبشكل خاص أسماء أولاده، ومن أمثلة ذلك، um\_rahma، abo Karam2003، Ben Muhammed.abousadek2003، po Fahd، Om ShBA9H.

تأتي بعد ذلك الأسماء التي تحيل مباشرة إلى موطن الفرد وبلده بشكل عام، وإلى المنطقة التي ينتمي إليها من هذا البلد، بشكل أكثر تحديداً. كما يرتبط بذلك أيضاً

الأسماء التي تحيل إلى هوية الفرد، بغض النظر عن انتمائه إلى بلد ما. ومثال ذلك: Dam3et\_Falasteen ، NABULS ، Free\_Falasteen ، Kol Falasteen ، bent\_elberah . وتستحوذ الأسماء التي تشير مباشرة إلى فلسطين على مساحة وحيث كبيرين من الأسماء التي تشير إلى الأوطان، ويلاحظ هنا أنه ليس من الضروري أن يكون المستخدم فلسطينياً حتى يستخدم اسماً يشير إلى فلسطين ومناطقها المختلفة، فما زال الإحساس الوطني بمأساة فلسطين، على الأقل في مستواه الشعبي، يشتمل على هذا الزخم الذي يجعل الكثيرين من أبناء هذه الأمة يختارون أسماء مستعارة تشير من طرف أو آخر إلى مأساة فلسطين. كما أن هذه الأسماء أيضاً، تشير إلى الوطن أيضاً، العربي عموماً والفلسطيني خصوصاً في جانبه المساوي؛ مثل al7awatan ، 2seer\_el\_Watan ، Sajeen\_ ، alghorba\_morrah . إضافة إلى ذلك، هناك عدد لا يحصى من الأسماء التي تشير إلى موطن الإقامة الحالي، موطن المهجر؛ من مثل: Frankfurt\_199 ، Enigma of ، Amal\_California ، Sweden-3alaa ، Germany\_girl ، Florida\_London إلخ ... كما يوجد، إضافة إلى ذلك، عدد من الأسماء التي تربط نفسها بالشخصيات التاريخية والمعاصرة؛ مثل: MODAFAAR ، HOLAKO111 ، Salahedeein.Romel\_B52.Alexander1\_1،ALNOAAB .Ben Laden Saddam\_Hussein,

ويمثل ما سبق تصنيفاً أولياً ومبدئياً لاستخدامات الأسماء المستعارة في حجرات الدردشة العربية، وبالطبع وكما ذكرت سابقاً، فإن المرء لا يمكنه حصر هذا الكم الضخم والمتنوع والمتجدد من هذه الأسماء، إذ إن هذا الأمر يستدعي دراسة منفصلة، وهو ما يخرج عن حيز هذه الدراسة. لكن، وبشكل عام، يمكن القول إنه باستثناء الأسماء التي تستدعي الغرابة في ذاتها، وتسترعى النظر؛ مثل: Kna\_Kna ، Namla\_1 ، yady\_elnela ، أو تلك التي تشير إلى مجرد حروف

وأرقام؛ مثل: DX ، bbb20 ، XXss ، To\_2 ، فإن المرء يمكنه أن يصنف هذه الأسماء وفق أسماء تتعلق بوصف الشكل الخارجي والجوانب النفسية والمزاجية للمستخدمين، وأسماء حقيقية تصف شخص المستخدم أو أشخاصا يمتون إليه بصلة، وأخيراً تلك التي تتعلق بأسماء البلدان والشخصيات التاريخية والمعاصرة. ومن خلال هذا التصنيف الأولى يلحظ المرء حجم التشابه الكبير والتأثير المتبادل بين عالم الأسماء المستعارة (العالم بين جدران حجرات الدردشة المتخيلة) وعالم الأسماء الحقيقية (العالم المتعين)، حيث لا تبتعد الأسماء المستعارة في كثير من مضامينها عما يحدث في الأبنية الاجتماعية المختلفة التي يمارس من خلالها الأفراد دردشاتهم. أما على مستوى الشكل، فإن المسافة تتسع بين شكل الأسماء في حجرات الدردشة ، وتلك في العالم المتعين الحقيقي. ونظراً للإلزامية كتابة هذه الأسماء بالحروف الإنجليزية، وعدم وجود مماثلات صوتية لبعض الحروف العربية، ابتكر المستخدمون أرقاماً أجنبية تُستخدم محل هذه الحروف العربية؛ مثل: الرقم 7 أو V للدلالة على حرف الحاء العربي، والرقم 3 للدلالة على حرف العين العربي، والرقم 5 للدلالة على حرف الخاء العربي، والرقم 9 للدلالة على حرف الصاد العربي... إلخ من هذه الأرقام التي ابتدعها المستخدمون، واتفقوا عليها بما يشبه القواعد المقررة سلفاً، والتي تحدد شكل الاتصال فيما بينهم. وإضافة إلى ذلك، تتسم هذه الأسماء بشكل عام بارتباطها بأرقام تابعة لها، كما أوضحنا سابقاً، وأخيراً، يرتبط ابتكار هذه الأسماء بجملة تشكيلات إخراجية؛ مثل: استخدام الحروف الكبيرة ممزوجة بحروف صغيرة، أو استخدام ألوان متعددة، وعلامات من تلك المتوافرة على لوحة الكتابة الخاصة بأجهزة الكمبيوتر مثل - ، و\_ ، و = ، و + ، و @ ، و # ، و \$ ، و \* ... إلخ من مثل هذه العلامات المتنوعة والمتعددة، التي لا يمكن أن تصاحب أسماءنا في العالم المتعين.

- وصف اللغة المستخدمة في حجرات الدردشة وتحليلها:



عادة ما تبدأ الدردشة بعد فتح الحجرة وبداية ولوج المدرشين إليها، حيث يدخلون في مناقشات متعددة ومتشابكة. يتحدث أحد الأفراد في الميكروفون مثيراً موضوعاً ما، ثم يشتبك معه بقية الأفراد، موجّهين الكلام إليه مباشرةً أو فيما بينهم؛ فهم، من ناحية، يردون على المتحدث الرئيس الذي يستخدم الميكروفون، ومن ناحية أخرى، يتحدثون فيما بينهم. فالنص القائم داخل حجرات الدردشة هو في النهاية نص متعدد الاستجابات والموضوعات في الوقت ذاته. ونظراً لهذه الاستجابات المتعددة والمتقاطعة في الوقت نفسه، فإن اللغة المستخدمة تتشكل بحسب هذه التقاطعات والتشابكات.

قبل الدخول في التشريح المتعمق لهذه اللغة، يبقى السؤال، هل تختلف طبيعة اللغة المستخدمة باختلاف الحجرات أو أن اللغة المستخدمة داخل حجرات الدردشة لغة واحدة بغض النظر عن نوع الحجرة؟ سؤالاً ضرورياً وملحاً. ويمكن القول في ضوء ملاحظتنا لحجرات الدردشة إن هناك اختلافات بين الحجرات، يحكمها في الأساس طبيعة الحجرة والموضوعات المثارة فيها. وتنعكس هذه الاختلافات، بشكل أو بآخر، على شكل اللغة المستخدمة في هذه المناقشات ومضمونها، كما سوف نبين لاحقاً. فاللغة المستخدمة في الحجرات الدينية، وبشكل خاص، تلك التي تهدف إلى التعليم الديني، أكثر من مناقشة القضايا الساخنة، من مثل الصراع بين الإسلام والمسيحية، أو تلك التي تمزج الدين مباشرة بقضايا الأقليات وحقوقهم في عالمنا العربي، تتسم بالاعتدال، والكياسة، والاكتمال، حيث يقل فيها استخدام الاختصارات والرموز. كما سوف يزداد في هذه الحجرات أكثر من غيرها استخدام الاقتباسات الدينية، الجاهزة سلفاً والمعدة لمثل هذه المناقشات والدردشات.

ويختلف الأمر، إلى حد ما مع الحجرات ذات الصبغة السياسية التي تتناول الموضوعات الساخنة؛ مثل القضية الفلسطينية، والأوضاع الراهنة في العراق، وإلى حد كبير، مع الحجرات الأخرى التي ترتبط بشكل كبير بالمناقشات والموضوعات

الحرّة، حيث يتحرر الأفراد من القيود والمحددات التي تفرضها طبيعة المناقشات الدينية الرصينة، والتي تحاول بشكل كبير أن تلزم نفسها بالأوامر والنواهي الدينية. ففي هذه الحجرات تفرض أوضاع المناقشات تلك الحدة والسخونة التي تخرج اللغة عن أطرها الهادئة إلى أطر أشد حدة، كما يزداد استخدام الاختصارات والإشارات الخاصة بالضحك والتهكم. وبالطبع سوف يختلف شكل النقاش في الحجرات الأخرى مثل الحجرات الثقافية والحجرات الخاصة بسماع الموسيقى. وفيما يلي سوف أقف على الملامح العامة والمميزة لهذه اللغة، وجوانب الاتفاق والاختلاف فيما بينها بحسب نوع الحجرات ونوع الموضوعات.

### 1- تكرار الحروف والكلمات والأشكال

في اللغة العادية يستعين المتحدثون بكثير من المؤثرات التي تساعدهم على إيضاح وتفعيل وجهات نظرهم تجاه الآخرين الذين يبادلونهم الحديث؛ مثل إعادة الكلام، وارتفاع حدة الصوت، واستخدام حركة اليدين، وانفعالات الوجه... إلخ من مثل هذه المؤثرات المرتبطة بالاتصال المباشر بين البشر. أما داخل حجرات الدردشة، فإن الأمر جد مختلف، إذ إنه، باستثناء استخدام الصوت، فإن المستخدمين لا يمكنهم التعبير عن هذه الانفعالات إلا من خلال الكلمة المكتوبة، والأشكال المختلفة المرتبطة بها.

ويُعد تكرار الحروف ومد الكلمة من أكثر مظاهر اللغة المستخدمة داخل حجرات الدردشة، حيث يُستخدم ذلك، في الأغلب للفت انتباه المتحدثين الآخرين، أو للإلحاح على وجهة نظر معينة. ويأتي هذا التكرار مصحوباً بتأثيرات الكتابة المختلفة والمتوافرة عبر الكمبيوتر؛ مثل الألوان، ودرجة تركيز اللون، ونوع الخطوط. ويُلاحظ فيما سبق أن هذا التكرار فيما يتعلق بمسألة الحروف يظهر أكثر ما يظهر عند الإشارة إلى الضحك، وكأننا هنا بدلاً من أن نقول: يضحك الفرد ملء

شذقيه، إذا بنا نقول: يضحك ملء يديه، في إشارة دالة على دور الكتابة في التعبير عن وضعية الضحك التي تتاب الأفراد إبان استخدامهم حجرات الدردشة. ومما هو جدير بالذكر، أن استخدام حروف الضحك والقهقهة يوجد أكثر ما يوجد في حجرات الدردشة التي تهدف إلى الإمتاع وتبادل الموضوعات النقاشية الخفيفة، والتي يؤمها، في الأغلب، الشريحة العمرية بين ١٨-٢٤ عاماً حسب توزيع الفئات العمرية لدى برنامج البال تووك. وإضافة إلى ذلك، يظهر هذا التكرار، بشكل واضح وجلى عند مبادلة التحيات، حيث يُستخدم تكرار الحروف هنا بمثابة دليل على حرارة السلام والتحية من جانب، وعمق العلاقة بين المستخدمين من جانب آخر. ولا تقتصر عملية التكرار هذه على الكتابة باللغة العربية فحسب، بل يتعدى الأمر كذلك إلى كتابة العربية بحروف لاتينية، كما يرتبط هذا التكرار أيضاً بالكتابة بالحروف اللاتينية.

وكما تتكرر الحروف، سواء تلك المكتوبة باللغة العربية أو تلك المكتوبة باللغة اللاتينية، تتكرر أيضاً الكلمات والأشكال، حيث يوفر استخدام الكمبيوتر ذلك القدر من مصاحبة الكلمات بأشكال وزخارف متنوعة ومتعددة حسب أذواق المستخدمين، وقدراتهم الإبداعية. ويلاحظ أيضاً انتشار هذا اللون من الأشكال والزخارف في الحجرات الشبائية، وتلك التي يغلب عليها طابع المناقشات الخفيفة والترفيهية. ويمكن القول إن النص الخاص بحجرات الدردشة يفرض لغة تستدعي الاستعانة بكافة الإمكانيات التي يتيحها ذلك النمط من الاتصال، وعلى رأسها استخدام الأشكال التوضيحية المختلفة التي تساعد على تدعيم التفاهم والتواصل بين أطراف عملية الاتصال. وعلى الرغم من أن هذه الأشكال قد تبدو مبهمه لمن اعتادوا نمط الاتصال التقليدي، فإنها تحقق ذلك القدر من التواصل بين أطراف حجرات الدردشة، ولعل ذلك يؤكد ما ذكرته في بداية هذه الدراسة عن حتمية وجود قدر ما من القواعد المقررة سلفاً، المتغيرة في الوقت نفسه، التي يتفق عليها أطراف عملية

الاتصال، بحيث تساعد على استمرارية العملية الاتصالية وتطورها فيما بينهم. ويرتبط بنمط الاتصال عبر حجات الدردشة استعمال الأشكال والرموز التوضيحية بشكل كبير، إلى الحد الذي أصبحت فيه هذه الرموز تشكل شكلاً عالمياً متعارفاً عليه. ولقد أصبح مصطلح الأيقونات التي تدل على الحالة المزاجية والانفعالية Emoticon هو ما يستخدم عالمياً للإشارة إلى هذه الأشكال أو الأيقونات، على حد تعبير المصطلح، ومن هذه الأشكال (-: وهو يشير إلى الابتسامة، و (-: وهو يشير إلى الحزن والضيق، و (-: وهو يشير إلى غمزة العين، و 0-: وهو يشير إلى الغضب والسياح. وإضافة إلى ذلك تستخدم لغة حجات الدردشة، تكلمة مثل هذه الأيقونات عدداً من الوجوه يشير كل منها عند استعماله إلى الحالة المزاجية للمتحدث مثل ☺ وهو يشير إلى السعادة، و ☹ للدلالة على الخجل... إلخ من هذه الأشكال والأيقونات. وكما لاحظنا سابقاً، فإن كثيراً من مستخدمي الحجات العربية يستخدمون مثل هذه الأشكال والأيقونات، التي أصبحت تمثل لغةً عالمية، أكثر من ارتباطها بإقليم جغرافي معين، أو بجماعة اجتماعية معينة.

## ٢- الاختصارات واستخدام المفردات الأجنبية

تتسم اللغة المستخدمة في حجات الدردشة بالاختصار الشديد؛ ولعل ذلك يرجع إلى أنها، في النهاية، لغة بصرية تعتمد الشكل والرسائل التلغرافية القصيرة. وفيما عدا أغلب الحجات الدينية، التي تحكمها طبيعة الموضوعات التي يتم مناقشتها، إضافة إلى رغبة مرتاديها عدم الاختصار في المسائل ذات العلاقة بجملة الممارسات الدينية، فإن معظم، إن لم يكن كل الحجات الأخرى، ترتبط بمثل هذه اللغة الرمزية المختصرة، آخذين في الحسبان أن معظم هذه الاختصارات تتم باستعمال الحروف اللاتينية. ومن أبرز هذه الاختصارات ما يتعلق بالاختصارات الخاصة بالسلام مثل « السلام عليكم» حيث يُشار إليها بالأحرف WS WR WB، إضافة إلى

ذلك، يستخدم الرقم 1 للإشارة إلى أن الميكروفون الذي يتحدث به الشخص إلى سائر أفراد الغرفة يعمل بشكل جيد، ويمكن لهم الاستماع إليه، ويستخدم الحرفان (wb) (welcome back) للترحيب بعودة الفرد إلى غرفة الدردشة مرة أخرى، وفي السياق نفسه، تُستخدم الأحرف «brb» «be right back» للإشارة إلى مغادرة الفرد الغرفة بشكل مؤقت، وعودته إليها بعد مدة ما من الوقت. وربما كان أشهر الاختصارات المتعارف عليها الآن بين جمهور الإنترنت هو الحروف الثلاثة «LOL» «Laughing Out Loud» التي تشير إلى الضحك والقهقهة التي أصابت أحد أطراف العملية الاتصالية جراء ما قاله الطرف الآخر.

أخيراً يستخدم الكثير من مرتادي حجرات الدردشة الأرقام للدلالة على كلمات معينة حينما يتشابه نطق كل منها؛ حيث يُستخدم الرقم 2 للدلالة على Too أي أيضاً، فحينما يقول فردٌ ما لفرد آخر Hi يبادره الآخر Hi. 2. وأيضاً يستخدم الرقم 4 للإشارة إلى For، كأن يقول أحد الأفراد 4 This Moouah، ويعنى ذلك أن هذه القُبلة له. ويُلاحظ في الجملة السابقة، إذا جاز عدها جملة، أنها استخدمت الرقم 4 محل For؛ اعتماداً على التشابه الصوتي، واعتماداً على القواعد المعتمدة والحاكمة لحدود الاتصال عبر حجرات الدردشة، كما يُلاحظ أيضاً أن القُبلة استُعيض عنها بالوقع الصوتي المتعارف عليه بين أبناء العربية.

كان من الممكن في دراسة تتوخى منذ البدء الحديث عن ممارسات اللغة العربية في حجرات الدردشة أن نستثنى هذه الرموز والحروف الأجنبية، لكن الأمر هنا قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من بنية التواصل بين مرتادي هذه الحجرات، بغض النظر عن الجوانب السلبية المصاحبة لهذا المزج اللغوي، والذي لا ينفصل، في الوقت نفسه، عن ارتباطه بمستوى أعلى وأوسع نطاقاً من أشكال المزج الأخرى التي نستدمجها، أو بمعنى أكثر دقة، تستدمجنا في جملة ممارساتنا اليومية والحياتية. لذلك، فإنه

يصعب على أي باحث يتناول لغة حجرات الدردشة العربية بالبحث والتحليل، أن يتجاهل هذا الحيز الضخم من المزج والخلط المستمر بين اللغة العربية، وبين اللغة الإنجليزية، آخذين في الحسبان أن عدداً لا بأس به من مرتادي الإنترنت يتبادلون مناقشاتهم باللغة الإنجليزية، كما أن عدداً أكبر يكتب العربية بحروف لاتينية. وهناك كثير من الأمثلة التي تبين ذلك المدى المتسع من استخدامات اللغة الإنجليزية، ومزجها باللغة العربية؛ مثل: وووووولكم: للإشارة إلى welcome ، وباي: للإشارة إلى bye ، وأوكي أدمن: للإشارة إلى okay Administrator.

### ٣ - استخدام المؤثرات

كما ذكرنا سابقاً، فإن النص الخاص بالإنترنت نص مركب وغير خطى Hybertext، يساعده على ذلك الإمكانيات المتوافرة خلال استخدام البرامج المختلفة المتصلة بالحاسب الآلي من جانب، وتلك التي توفرها برامج الدردشة من جانب آخر. وفي هذا السياق، تلعب هذه المؤثرات المختلفة دوراً أساسياً في تدعيم لغة الاتصال عبر حجرات الدردشة. ومن هذه المؤثرات استخدام الألوان وأشكال الحروف المختلفة، ووضع خطوط تحت ما يكتبونه، مع اختيار حجم الحروف المطلوب الكتابة بها. وبالطبع فإن اختيار ألوان معينة؛ مثل الأحمر الصارخ بحجم حروف كبيرة، يعكس رغبة الفرد في لفت أنظار سائر أفراد الغرفة، مع تأكيد أهمية الرسالة التي يبغى إيصالها. إضافةً إلى ذلك، يمكن استخدام العديد من المؤثرات الأخرى مثل إرسال زهرة، أو قبة.. إلخ من مثل هذه المؤثرات التي تحل هنا محل اللغة، ويُستعاض عنها في توصيل رسالة ما إلى الطرف الآخر. إن الإنترنت بعامته، وحجرات الدردشة بخاصة ترتبط بعدد كبير من هذه المؤثرات التي تحمل في طياتها معاني ورموزاً مشتركة لأطراف العملية الاتصالية، يعيها كل منهم، ويستخدمها في توصيل رسالة معينة إلى باقي الأطراف.

## النتائج

مازالت الإنترنت بشكل عام، وحجرات الدردشة بشكل خاص، تمثل حقلاً بكرةً يستدعى جهود كثير من التخصصات المختلفة والمتباينة؛ مثل علوم الاجتماع والنفس والسياسة والعلاقات الدولية والاتصالات...إلخ. وفى هذا السياق، فإن الدراسة الراهنة تمثل محاولة أولية تهدف إلى تعرف ذلك الكائن الهلامي، أقصد الإنترنت، والوقوف على ملمح من أهم ملامحه، ألا وهو حجرات الدردشة. وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التي حاولت مقارنة موضوع الإنترنت في عالمنا العربي، نجد أنها إما ركزت على الأبعاد التقنية لظاهرة الإنترنت والمعلوماتية الحديثة (انظر أبوشقرا؛ بوخاطر؛ جرجس؛ الدليمي: ٨١-١٠٧؛ شاهين)، وإما ركزت على الجوانب السلبية والإيجابية للظاهرة (ينظر سعيد؛ الحاجي؛ الدليمي: ١٠٩-١٣٥؛ الجوهرى؛ اللبان)، وإما حاولت أن تربط بينها وبين ظواهر أخرى مثل اللغة، بشكلٍ غلب عليه أيضاً الجانب التقني، حيث غابت المضامين والأبعاد المجتمعية (سنو: ٩٠؛ وانظر أيضاً نموذجاً لهذا النوع من الدراسات، علي). وبشكلٍ عام، فإن العالم العربي ما زالت تتقصه تلك الدراسات التي تتناول ظاهرة الإنترنت في أبعادها الاجتماعية العميقة، سواء من خلال تناول الظاهرة بشكلٍ عام (انظر الدراسة الميدانية التي أجرتها سنو حول استخدامات وسائل الاتصال الحديثة في المجتمع اللبناني ومن بينها الإنترنت ١٧٧-٢٠٧؛ والدراسة الميدانية التي أجراها العصيمي على عينة من طلاب المرحلة الثانوية في مدينة الرياض السعودية؛ وانظر أخيراً حمادة)، أو من خلال التركيز على أحد تجلياتها مثل حجرات الدردشة.

ويمكن القول إن الدراسة الراهنة لا تنفصل في توجهاتها العامة عن موضوع علم الاتصال بشكلٍ عام، فما يقوم به الأفراد في حجرات الدردشة يمثل، في النهاية، تعبيراً واضحاً عن عملية الاتصال في أطرافها الثلاثة التي تشتمل على مرسل ومستقبل وقناة أو أداة الاتصال، وان كانت بالتأكيد تختلف عما يوجد في الأشكال

المتعارف عليها من أدوات الاتصال التقليدية المختلفة مثل الراديو والتلفزيون (حول أشكال الاتصال التقليدية، ينظر سنو: ٣١-٥٦؛ الجمال: ٧٥-١٤٥). والشيء المهم هنا، والذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا، هو أن ما يدور في حجرات الدردشة خلال الإنترنت، هو في النهاية نشاط اتصالي جديد يرتبط بما يُطلق عليه ريفكن، عصر النفاذ، الذي أحال علاقات الملكية الرأسمالية المتعارف عليها إلى علاقات تتركز بالأساس حول إمكان النفاذ خلال الإنترنت. فعلاقات الاتصال محكومة هنا بإمكانات النفاذ الجديدة التي توفرها خدمات الإنترنت، وليس ملكيتها. فنحن لا نمتلك الإنترنت، لكننا نملك حق النفاذ إليها، فقط حينما نريد ذلك، أو حينما تتوفر إمكانات هذا النفاذ.

إن الانتقال من علاقات الملكية إلى علاقات النفاذ ينتج أشكالاً وأنواعاً جديدة من الكائنات البشرية، التي لا تحكمها الحدود الجغرافية مثلما كان الحال في إطار علاقات الملكية، قدر ما تحكمها العلاقات الزمنية. فالزمن يصبح هو المتغير الرئيسي لعلاقات النفاذ الجديدة (انظر ريفكن: ٩-٢٤). وفي هذا السياق، فإن حجرات الدردشة تمثل تجسيداً لنمط ثقافي جديد، يختلف عن أنماط الاتصال التقليدية؛ مثل الصحافة وأجهزة الإعلام المختلفة. فهذا النمط هو إحدى نتاجات عصر الشبكات الرقمية الحديثة المرتبط أساساً بالإنترنت، وإمكانات النفاذ. ويرتبط هذا النمط الجديد بخلق شخصيات جديدة تختلف تماماً عن نمط الشخصيات السابقة الحقيقية والمتكاملة، فشخصيات الإنترنت هي من ذلك النوع الذي تُطلق عليه شيري تيركل Sherry Turkle الشخصيات المتعددة (انظر ريفكن: ٢٧٧-٢٧٨). وبشكل كبير، ينطبق ذلك على شخصيات مستخدمي حجرات الدردشة؛ فإمكانات النفاذ التي توفرها حجرات الدردشة، تتطلب وتخلق هذا النوع من الشخصيات المتعددة التي تنتقل من حجرة إلى أخرى، ومن سياق لغوي إلى آخر، طالما أن إمكانات النفاذ مكفولة ومتاحة للجميع. ولعل ذلك، يرتبط بما أكدناه



سابقاً من أن كل وسيلة اتصالية جديدة مرهونة بالسياق الاجتماعي الذي ظهرت فيه، وبطبيعة التحولات التي أدت إليها. فالراديو أو التلفزيون أو الصحافة ترتبط كأدوات اتصال بسياق جغرافي محدد، وبكتلة جماهيرية معينة، أما الإنترنت، بشكل عام، وحجرات الدردشة، بشكل خاص، لا يعترفان بهذه السياقات الجغرافية، ولا بالكتل الجماهيرية المعينة. فالبدائل الاتصالية متعددة ومتنوعة تعدد وتنوع إمكانات النفاذ المختلفة، كما أن كون هذا النفاذ لا يرتبط بسياقات مكانية محددة، يجعله حراً في سياقات ارتباطاته الزمنية المتدفقة غير المقيدة.

اللافت للنظر هنا، هو أن سياقات ظهور الإنترنت واستخداماتها هي في الأساس سياقات المجتمعات الغربية ما بعد الحداثية، أكثر منها سياقات مجتمعاتنا التقليدية، ربما ما قبل الحداثية. من هنا تظهر صعوبات التحليل المختلفة للإنترنت بعامة، ولحجرات الدردشة بخاصة؛ على الأقل في مستوياتها الاجتماعية. فالعربي الذي ينفذ إلى حجرات الدردشة الخاصة ببرنامج البال تووك، المؤسس على علاقات نفاذ ما بعد حداثية، مرتبطة بأطر مجتمعية أخرى، يترد مرة أخرى إلى علاقات اجتماعية تقليدية مرتبطة بالسياق الاجتماعي المعيش؛ فهو يمارس علاقات النفاذ الحديثة على مستوى حجرات الدردشة من جانب، ويعايش علاقات تقليدية على مستوى الواقع اليومي من جانب آخر. من هنا تبدو المخاطر المختلفة التي ترتبط باستخدامات تكنولوجيا المعلومات في سياقات تقليدية محافظة، حيث يعيش المستخدم عالمه الفانتازي الوهمي المتحرر من أشكال القيود المختلفة، ثم لا يلبث أن يترد مرة أخرى إلى واقعه الحقيقي المشحون بالمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والمكبّل بأشكال مختلفة ومتعددة من القيود والمحاذير. ويمكن القول هنا، إن مستخدمي حجرات الدردشة بشكل عام، والعرب منهم بشكل خاص، يعانون تلك الازدواجية بين تلقائية وعفوية ممارسات حجرات الدردشة، وحدود وصرامة الحياة اليومية.

من هنا يمكن القول، إن التأثيرات الحادثة، على الأقل في مستوى لغة حجرات الدردشة، على الرغم من تأثيراتها البالغة السلبية في اللغة العربية، مازالت تتم على مستوى الشكل اللغوي، أكثر منها على مستوى المضامين الفكرية. ونحن نعي هنا صعوبات الفصل بين مستوى الشكل اللغوي، ومستوى المضامين الفكرية؛ فكلاهما يؤثر في الآخر، بل إنه من غير الممكن الفصل بين الشكل اللغوي والمضمون، فكلاهما حامل للآخر، لكن الأمر يستدعي في هذه المرحلة، وفي ضوء عدم الانتشار الواسع المدى للإنترنت في الدول العربية مقارنة بالدول الغربية، (انظر حول الفجوة الرقمية بين الدول المتقدمة والدول النامية حمادة: ٦٣، ٦٢؛ وحول الوضع في الدول العربية انظر العصيمي: ٢٩، ٣٠) عدم الادعاء بوجود علاقة قوية ومؤثرة بين شكل الممارسات اللغوية في حجرات الدردشة، والمضامين الفكرية للمستخدمين. ولعل ذلك يرجع أيضاً إلى أن علاقات الدردشة هي علاقات لعب في الأساس، أكثر منها علاقات عمل، وإنجاز. ويؤكد ريفكن أن عصر النفاذ والتشبيك المعاصر، المرتبط بالانتقال من الإنتاج الصناعي إلى الإنتاج الثقافي، قد أدى من جانب آخر إلى الانتقال من علاقات العمل إلى علاقات اللعب. لقد ركز عصر النفاذ والتشبيك الحالي على تسليع اللعب وليس على تسليع العمل، مثلما كان الحال مع العصر الصناعي السابق، القائم على علاقات الملكية والعمل والإنتاج (انظر ريفكن؛ حمادة).

في ضوء ما سبق يمكن القول إن النتائج التي توصلنا إليها يجب أن توضع من جانب في سياق هذه التحولات الأولية الخاصة بالإنترنت في عالمنا العربي، والتي لم تصل بعد، أو حتى تقترب من عمق التحولات الخاصة بالمجتمعات الغربية المابعد حديثة. من جانب آخر فإن نتائج هذه الدراسة يجب أن توضع أيضاً في إطار الرؤية الاستطلاعية والأولية للدراسة، فكما ذكرت سابقاً، مازال حقل الإنترنت، بشكل عام، وما يرتبط به من موضوعات أخرى مثل حجرات الدردشة، بشكل خاص، يتسم

بندرة الدراسات الخاصة به. ويمكن أن نوجز النتائج التي توصلت إليها الدراسة الراهنة فيما يأتي:

يتسم النص، ومن ثم اللغة المستخدمة في حجرات الدردشة، على الرغم مما يعتورها من تبسيط مُخل بالحدود الدنيا للاستخدامات اللغوية العربية، بالاختلاف عن النصوص التقليدية، بحيث يمكن تسميته بالنص المعقد واللاخطي Hybertex، تمييزاً له من النص التقليدي Text. ففي النصوص التقليدية؛ مثل ما يرد عبر الصحف والمجلات، وعبر الإذاعة والتلفزيون، تنتقل الرسالة، غالباً، بشكل خطي من المرسل إلى المستقبل، عبر الدور الواسع المدى والمؤثر لحراس البوابات الذين يعلمون طبيعة الجمهور المستقبل لهذه النصوص، وحجم التغيير المنشود من وراء هذه النصوص، أما في حجرات الدردشة فلا يوجد في الأساس نصوص مسبقة، كما لا توجد كتلة جماهيرية محددة، المسألة تتم بشكل فضفاض ومرن وعفوي. وحتى في الحجرات ذات الأهداف الواضحة والمحددة سلفاً، سواء على مستوى الشكل، أو المضمون؛ مثل الحجرات الدينية، فإنه لا يمكن، إلى حد ما، تحديد الموضوعات التي يتم مناقشتها، أو تحديد نوعية الجمهور. فعلى سبيل المثال، فإن حجرات الأقباط المصريين، والتي تأتي دائماً في المرتبة الأولى من حيث ارتيادها، غالباً ما تكون ممتلئة بالعديد من المسلمين، وربما يكون هذا هو السبب الرئيس وراء اكتظاظها بهذا العدد الضخم من المترادين. إن طبيعة الجمهور/الجماهير الخاصة بحجرات الدردشة تلعب دوراً كبيراً في هلامية النص المستخدم في هذه الحجرات؛ فالمستخدمون هنا أحرار في الحركة من حجرة إلى أخرى، حيث يمكنهم استخدام ما يعين لهم من أشكال النصوص المختلفة، وأنواع اللغة المتعددة، بدءاً من اللغة الدينية المحتشمة، وحتى أشد أنواع اللغات عدوانية وصفاقة وخدشاً للحياء، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالمستخدمون غير معنيين بأناقة اللغة واكتمالها، فطالما أن أطراف العملية الاتصالية يعون مفردات التواصل بينهم، فكل شيء متاح ومباح.

وبشكل عام، يمكن القول بعدم وجود نصوص حقيقية في حجرات الدردشة، فالمسألة في النهاية رهن بما يقوله المستخدمون لحظة نفاذهم إلى هذه الحجرات في لحظة زمنية معينة، قد لا تتفق مع زمنية المستخدمين الآخرين. وعلى الرغم من وجود موضوعات معينة محددة للمناقشة، نجد أن ذلك لا يمنح اللغة والنصوص المستخدمة في حجرات الدردشة ذلك القدر من التبلور والوضوح.

- يمكن القول إن الموضوعات التي يتناولها مستخدمو حجرات الدردشة تمثل انعكاساً كبيراً لذات الموضوعات المتداولة في الحياة الواقعية، فالقضايا السياسية، وبشكل خاص ما يمس قضية فلسطين، والوضع في العراق، تأتي على قائمة القضايا المتداولة في معظم حجرات الدردشة. كما أن الموقف من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل يفرض نفسه بالتبعية على أحاديث معظم هذه الحجرات، وبشكل خاص الإسلامية منها. لا يعني ذلك أن القضايا السياسية هي الغالبة فقط على حجرات الدردشة؛ فهناك العديد من الموضوعات الأخرى مثل الزواج والطلاق والحب والعلاقة بين الرجل والمرأة والموسيقى والرياضة... إلخ من الموضوعات المختلفة التي تتعدد بتعدد الموضوعات الموجودة في حياة المستخدمين اليومية.

- وإذا كان هناك التقاء في المضمون مع الواقع الاجتماعي، فإن اللغة المستخدمة وأساليب الحوار، عبر حجرات الدردشة، يفترقان عن طبيعة لغة الحوار في الحياة اليومية وأساليبها؛ فاللغة المستخدمة تختلف بشكل كبير عن لغة الجمهور العادية، ولعل ذلك يرجع، من جانب، إلى ارتباط استخدام الإنترنت بشريحة اجتماعية معينة تكفل لها إمكاناتها المادية شراء أجهزة الكمبيوتر، وتحمل نفقات الاشتراك عن طريق خدمات شبكات اتصال الإنترنت، التي مازالت تتعدى قدرات الأغلبية من المستهلكين في العالم العربي. حيث يشير تقرير التنمية الانسانية العربية إلى ضعف إمكانات امتلاك الحاسبات الآلية في العالم العربي قياساً بالمستويات العالمية، حيث تصل النسبة إلى 18 حاسوباً لكل 1000 شخص في المنطقة، مقارنة بالمتوسط العالمي

وهو ٧٨,٣ حاسوباً لكل ١٠٠٠ شخص، إضافةً إلى ارتفاع أسعار خدمات الاشتراك في والنفاذ إلى الإنترنت. كما يبين التقرير أن عدد مستخدمي الإنترنت في الدول العربية وصل عام ٢٠٠٢ إلى ٢,٤ ملايين شخص يشكلون ٦,١٪ من سكان الوطن العربي، مقارنة بأقل من ١٪ فقط في العالم ٢٠٠١ (تقرير التنمية الإنسانية العربية: ص ص ٦٣، ٦٤، وانظر أيضاً ص ٤٧).

- ومن جانب ثانٍ، فإن أغلب حجرات الدردشة مازالت تُستخدم من أجل الترفيه والدردشات الشخصية وإزجاء الوقت أكثر من أي شيء آخر، على الرغم من وجود كثير من الحجرات ذات الأهداف الجدية والموضوعات المهمة والحيوية، في أبعادها السياسية والدينية والاجتماعية. ولذلك، فإن استخدام الإنترنت وحجرات الدردشة يرتبط بالفئة سالفة الذكر التي تبغي الترفيه والدردشة أكثر من أي شيء آخر. ومن جانب آخر، يمكن القول إن جمهور حجرات الدردشة جمهورٌ غير ثابت، وهذا مما يقطع بعدم إمكان وجود شيء متواصل خلال هذه الحجرات، على الرغم من إدمان الكثيرين عليها. من هنا تفرض محددات اللغة المستخدمة من اختصارات ورموز وألوان... إلخ نفسها بوصفها المحددات والقواعد الحاكمة لشكل الاتصال، وفيما عدا ذلك فكل شيء مباح وممكن تحقيقه خلال ممارسات الدردشة في هذه الحجرات.

- من هنا، يمكن القول إن نمط اللغة المستخدمة خلال حجرات الدردشة مازال يعبر عن شريحة اجتماعية محددة، وضيقة الانتشار، لكنه في ضوء التوقعات المرتبطة باتساع دائرة مستخدمي الكمبيوتر في عالمنا العربي، يثير مسألة انتشار هذا النمط اللغوي المستخدم خلال حجرات الدردشة بما له من انعكاسات اجتماعية تتمثل في الإضرار بقواعد اللغة العربية والاستخدامات المرتبطة بها، وسيادة اللغات الأجنبية، وبشكلٍ خاص الإنجليزية، بما لذلك من آثار سلبية تمس مسألة الهوية وضرورات الحفاظ على التفكير باللغة العربية، وبشكلٍ خاص بين الأجيال الجديدة. وتسود اللغة الإنجليزية الإنترنت بما يعكس هيمنة ثقافة هذه اللغة على المستخدمين،

في الوقت نفسه الذي نجد فيه أن نسبة مستخدمي اللغة العربية خلال الإنترنت يبلغ نصفاً في المائة تقريباً (انظر حمادة: ١١٦، وحول الاستخدام العالمي للإنترنت، انظر المصدر نفسه ٩٣-٩٦؛ وانظر أيضاً حول واقع الإنترنت في العالم العربي، كاظم: ٢٢٠-٢٢٧؛ وحول أزمة اللغة العربية المعاصرة، انظر تقرير التنمية الإنسانية العربية: ١٢٠-١٢٥). لاتقف المسألة فقط عند حدود التأثيرات السلبية في اللغة العربية، لكنها تتعدى ذلك إلى عزل مستخدمي الإنترنت بعامه، ومستخدمي حجرات الدردشة بخاصة، عن المواجهة الفعلية لشؤون الحياة اليومية؛ حيث يعتاد المستخدمون المواجهة والنقاش من وراء ستار حجرات الدردشة متخفين، أو عاجزين. وربما يبدو سلوك الأقليات المختلفة على صفحات الإنترنت، وفي حجرات الدردشة مثلاً واضحاً وجلياً لمخاطر مثل هذا النوع من الممارسات. فالمستخدمون يستعيضون هنا باللغة بدلاً عن الانغماس في قضايا حياتهم اليومية، حيث يركنون إلى ما يقولونه وهم متخفون خلف أردية اللغة عوضاً عن الاشتباك الحقيقي مع مشكلات واقعهم المعيش. من هنا، تبدو مسألة تدعيم حجرات الدردشة للديمقراطية في حاجة كبيرة إلى المراجعة والتمحيص وإعادة النظر.

- لا يرتبط هذا التعقيد المرتبط بهذا النص، ومن ثم بهذه اللغة، بالمضمون اللغوي قدر ارتباطه بالشكل؛ فحيث تتقاطع الاستجابات، وتتعدد الردود، تتخلق لغة موازية لمثل هذا التعدد، لغة تحتمي إلى حد كبير بالإمكانات التي توفرها شبكة الإنترنت من جانب، وتدعمها استخدامات الحاسبات الآلية والبرامج المرتبطة بها من جانب آخر. ولعل ذلك، كما أوضحت الاقتباسات التي اعتمدت عليها الدراسة من حجرات مختلفة للدردشة، هو ما يمنح هذه اللغة شكلها الخاص بها، الذي يختلف في الوقت نفسه عن اللغة المعتادة، المستخدمة خلال وسائل الاتصال العادية.

- لا تنطبق السمات المرتبطة باللغة المستخدمة خلال حجرات الدردشة على كل الحجرات، بالقدر نفسه وبالشكل نفسه؛ حيث تختلف هذه السمات من حجرة إلى

أخرى، ومن موضوع إلى آخر. فالحجرات الدينية، وبشكل خاص تلك التي تهدف إلى التوجيه والإرشاد؛ مثل حجرات أهل السنة، تراعى مسألة الشكل في استخدامات اللغة، حيث تقل الاختصارات والأشكال الزخرفية، ويميل الأفراد مباشرة إلى استخدام اللغة العربية أكثر من استخدام اللغة الإنجليزية. في مقابل ذلك، فإن الحجرات التي يؤمها جمهور كبير من الشباب، وصغار السن، هي أكثر الحجرات استخداماً للغة الإنترنت والرموز والإشارات المرتبطة بها، كما يكثر في هذه الحجرات، المزج بين اللغة العربية والإنجليزية، بل يصل الأمر في أحيان كثيرة إلى تفضيل سيادة الإنجليزية على مجمل النصوص المستخدمة في الدردشة.

- ويمكن القول: إنه يمكن تمييز اللغة المستخدمة في حجرات الدردشة باعتماد آلية تكرار الحروف، والكلمات، واستخدام الإشارات، والأيقونات الدالة على الحالة الشعورية والنفسية للفرد، وكما ذكرنا آنفاً، المزج بين اللغة العربية والإنجليزية، أو كتابة اللغة العربية بحروف إنجليزية. وإضافة إلى ذلك، تعتمد هذه اللغة، إلى حد كبير، على التأثيرات الإضافية المرتبطة بالكتابة؛ مثل الألوان، وأنواع الخطوط المستخدمة في الكتابة وأحجامها، ووضع خطوط تحت الكلمات والجمل، ورسم الأشكال الزخرفية، مفيدة في ذلك من الإمكانيات التي توفرها البرامج المختلفة للكمبيوتر. وعلينا أن نضع في الاعتبار أن لغة حجرات الدردشة بملامحها وسماتها المختلفة لغة عالمية يعيها معظم المستخدمين؛ فالأيقونات متشابهة في كل الحجرات، كما أن المؤثرات الخاصة بالكمبيوتر واحدة بالنسبة للجميع. وعلى الرغم من تنوع جمهور حجرات الدردشة، نجد أن استخدام برامج الدردشة، برموزها شبه المحددة سلفاً من قبل منشئي هذه البرامج، يكشف التأثير الواسع المدى لبرامج الاتصالات الحديثة التي تخلق نماذج اتصالية جديدة، توحد من خلالها المستخدمين في مناطق شتى ومتباعدة، على الرغم مما يوجد بينهم على مستوى الواقع المعيش من اختلافات. ولعل ذلك، يتفق مع ما ذكرناه آنفاً من أن لكل أداة اتصال قواعدها

المقررة سلفاً، التي تحدد لأطراف عملية الاتصال كيفية التواصل فيما بينهم؛ فعلى الرغم من تعدد الجماهير، و الهلامية النصية واللغوية، هناك قدرٌ ما من التوحد والاتفاق بين مستخدمي هذه الحجرات. ويمكن القول إن إحدى السمات الأساسية لحجرات الدردشة تتمثل في أنها تبني نوعاً من الاتفاق والثبات في إطارٍ من الاختلاف والتحول الذي قد يعيه أو لا يعيه أطراف العملية الاتصالية فيما بينهم.

- أخيراً، واتفاقاً مع ما سبق، تعكس اللغة المستخدمة خلال حجرات الدردشة قدراً كبيراً من التفكك وعدم التماسك، وهو الأمر الذي يتفق مع توجهات الأجيال الجديدة التي هي أكثر استخداماً للإنترنت، وأكثر تمثيلاً لحجرات الدردشة، التي تقع في الفئة العمرية بين ١٨ و ٢٤ عاماً حسب تصنيف «البال توك». وتتمثل خطورة هذا التفكك في خلق أجيال جديدة، وإن كانت تتعامل مع أحدث وسائل الاتصال العالمية، أعنى الإنترنت، فإنها تتعامل معها بشكل لغوي متفكك، يستدمج لغة الآخرين، ورموزهم، بل حتى توجهاتهم، وأطرهم المعرفية، بدون تحد نقدي حقيقي وفاعل. ولعل هذا هو ما جعلني أؤكد في مقدمة هذه الدراسة، أن تكنولوجيا الاتصالات ربما كانت من أهم آليات تدعيم وتيرة العولمة وتسريعها، فبدلاً من الجهد الذي تبذله مؤسسات العولمة وأساطينها في الدعوة لها، تساعد الإنترنت، وحجرات الدردشة، على جذب المزيد والمزيد من الأجيال الجديدة نحو خطاب العولمة، وتوجهاتها الفكرية والأيدولوجية.



## الحواشي:

- ١- المنتدى الإلكتروني Bulletin Board هو نظام بث إلكتروني يربط بين مستخدمين متعددين.
- ٢- تشير الحروف الثلاثة MOO إلى ما يعرف في الإنجليزية بـ Mud Objective Oriented ، ويُقصد به ذلك النظام الذي يتيح لمستخدمين متعددين، من خلال لغة محددة، التواصل فيما بينهم في الوقت نفسه لإشباع غايات محددة.
- ٣- يصف البعض شكل الاتصال عن طريق الإنترنت وأسلوبه بالمتخيل Virtual ، تمييزاً له من عالم الاتصال الفعلي Real والذي يتم عن طريق الاتصال وجهاً لوجه. والرأي عندي أن مجتمع الإنترنت هو مجتمع حقيقي له مواصفات وملامح معينة ومتميزة فرضتها طريقة الاتصال وشكله، والدرجة من التكنولوجيا التي وصلت إليها المجتمعات المعاصرة، وبشكل خاص المتقدمة منها، ولذلك فإن الدراسة الراهنة ترى أن مفهوم مجتمع الإنترنت Online Community أكثر دلالة وأكثر توصيفاً لهذا الأسلوب من الاتصال. وعلى الرغم من أن راينجولد Rheingold (سيلفر Silver Online: نقلاً عن راينجولد ١٩٩٣: ٥٨؛ وانظر أيضاً، راينجولد ١٩٩٦: ٤١٣، ٤١٤) يتبنى مفهوم «المجتمع المتخيل» فإننا نرى أنه أقرب لتعريف مجتمع الإنترنت، حيث يعرف «المجتمعات المتخيلة» بأنها: «تجمعات ثقافية تظهر حينما يلتقي عدد كافٍ من الأفراد عبر أجواء الإنترنت...، وهي جماعات من البشر قد تلتقي وقد لا تلتقي في الحياة الفعلية القائمة على الاتصال وجهاً لوجه، وتعتمد هذه الجماعات، بشكل أساسي، على تبادل الكلمات والأفكار من خلال نظام البث الإلكتروني الذي يربط بين مستخدمين متعددين Computer Bulletin Board ، كما تعتمد أيضاً على شبكات الإنترنت... وعبر هذه الوسائل من الاتصال يقوم الأفراد بفعل كل ما يقومون به حينما يلتقون أو يتجمعون. فنحن ندرش ونتناقش، ونشتبك في خطابات ثقافية كثيرة متنوعة، حيث نتبادل المعارف، ويدعم بعضنا بعضاً عاطفياً، ونقوم بالتخطيط، وحل المشكلات، كما نشترك في نقل الإشاعات، وحياسة المؤامرات، وكما نحب البعض، نضمّر الضغينة للبعض الآخر، وكما نكتسب بعض الصداقات، نفقد البعض الآخر. بالإضافة إلى ذلك، فنحن نلهو من خلال بعض الألعاب الترفيهية والاجتماعية، وأيضاً من خلال الإطراء الذي يصدر منا تجاه الآخرين، والذي نحب أيضاً أن نسمعه من الآخرين. وأخيراً، فنحن ننتج ونخلق القليل من الفن الراقى، والكثير من الأحاديث والمناقشات التافهة. فنحن نقوم بعمل كل ما يقوم به الناس حين يجتمعون معاً، لكننا نقوم بذلك من خلال استخدام الكلمات عبر شاشات الكمبيوتر تاركين أو منحّين جانباً أجسادنا أو وجودنا المادي المتعين».

٤- يرى جونز Jones أن مجتمعات الإنترنت هي أشباه مجتمعات The Pseudo Communities، حيث تفتقد هذه المجتمعات العنصر الإنساني المباشر المتحقق في الاتصال التقليدي، أي في نمط الاتصال وجهاً لوجه، كما تفتقد أيضاً التفاعل المباشر الناجم عن الوجود الفعلي والاحتكاك المباشر بين الناس. (انظر جونز 14 : 1997 Jones).

٥- نذكر هنا مرة أخرى أن هناك وسائل متعددة يستخدمها مرادو الإنترنت للتواصل فيما بينهم، مثل الصوت حيث استخدام الميكروفون المتصل بالكمبيوتر، ومثل استخدام الصورة حيث الكاميرا المتصلة أيضاً بجهاز الكمبيوتر. وفي حجرات الدردشة العربية يلعب الصوت دوراً مهماً، بالنظر إلى تبادل الأفراد الحديث من خلال الميكروفون، سواء تمثل ذلك في شخص مدير الغرفة Administrator، أو تمثل في شخص المستخدمين العاديين. وفي كل الأحوال، يقوم بقية أفراد الحجرة، إما بالرد والتعقيب على من يتحدث في الميكروفون، وإما في الدخول في حوارات جانبية فيما بينهم، وذلك من خلال الكتابة. ولعل ذلك هو ما يمنح الكلمة المكتوبة حيزاً ضخماً لمستخدمي الإنترنت، للتعبير عن آرائهم وتعقيباتهم، مقابل محدودية استخدام الميكروفون؛ فاستخدام الصوت خلال حجرات الدردشة يتطلب فرداً واحداً، في حين أن استخدام الكتابة لا يرتبط بمثل هذا الضابط، حيث يمكن لكل أفراد الحجرة أن يدلوا بدلوهم في النقاش الجاري كتابةً، في الوقت نفسه.

٦- في نمط الاتصال القائم عن طريق الإنترنت على وجه العموم، والقائم عن طريق حجرات الدردشة على وجه الخصوص، لا يمكن للباحث أن يعرف هوية المبحوث إلا من خلال مصدرين اثنين، الأول يتعلق بالمعلومات التي قد يوفرها المبحوث عن نفسه في الجزء الخاص بالمعلومات، والملحق بحجرات الدردشة والمسمى البروفايل Profile، أما المصدر الآخر، فهو ما يتعلق بما يقوله المبحوث نفسه أو يكتبه عن طريق لوحة الحاسب الآلي Keyboard أثناء قيامه بالدردشة والمناقشات. وفي كلتا الحالتين لا توجد وسيلة منهجية تساعد الباحث على التيقن من هذه المعلومات والتثبت من مدى صحتها، اللهم إلا إذا وافق المبحوث على إجراء مقابلات شخصية معه.

٧- يؤكد شايبيرو أن الإنترنت، بوصفها أداة من أدوات الاتصال الحديثة، يمكنها أن تقيد، كما يمكنها أن تدعم الديمقراطية. وهذا يعني أن الحكم القائل بأن الإنترنت بوصفها أداة اتصال حديثة سوف تدعم الديمقراطية بإطلاق، حكم خاطئ؛ فهي مثلها مثل أية أداة أخرى للاتصال، لها جوانبها الإيجابية وجوانبها السلبية، كما يمكن استخدامها بشكل ديمقراطي، ويمكن أيضاً استخدامها بشكل قمعي (انظر: شايبيرو ١٩٩٩ و ٢٠٠٠).

٨- تمت إجراءات الجانب الميداني والتعامل التطبيقي مع حجرات الدردشة خلال شهري نوفمبر

وديسمبر من عام ٢٠٠٣، حيث انقسمت متابعة هذه الحجرات إلى فترتين شبه متساويتين بين النهار والليل.

٩- في هذه المرحلة من الدراسة الراهنة، أثرنا الإشارة إلى حجرات الدردشة الجنسية Cybersex فحسب، وتأكيد أنها الأكثر وجوداً بين الحجرات العربية، كما أنها الأكثر اكتظاظاً بالمرتابدين. وفي هذه المرحلة من البحث، فإن التركيز سوف يكون على اللغة العادية التي يستخدمها الأفراد في حياتهم اليومية وفي مناقشاتهم المتواترة. وحيث إن اللغة الجنسية المستخدمة في هذه الحجرات تتسم بالمفارقة الشديدة والعنيفة لخطاب الحياة اليومية، فقد أثرنا في هذه المرحلة الاقتصار على الإشارة إلى هذه الحجرات، وتخصيص دراسة مستقبلية لها. تبقى نقطة أخرى خاصة بحجرات الدردشة الجنسية، وهي أن الدخول إلى هذه الحجرات يتم بالضغط Click على مكان معين، مصحوب برسالة معينة تشير إلى أن هذه الحجرات للبالغين فحسب، وأنها تشتمل على لغة غير مهذبة وغير مناسبة لمن هم أقل من ثمانية عشر عاماً، كما أنها قد تكون صادمة وحادة بالنسبة لبعض البالغين. ويرتبط ذلك برسالة تحذيرية، تحذر من الدخول إلى هذه النوعية من الحجرات إذا كان عمر المستخدم أقل من ثمانية عشر عاماً، أو إذا كان القانون في ولايته أو إقليمه المحلى (المقصود هنا داخل الولايات المتحدة الأمريكية) يمنع من رؤية أو استخدام مواد لها مثل هذه الطبيعة الجنسية الصارخة الخادشة للحياء. ولعل ذلك يثير ضرورة التدخل العالمي من قبل المؤسسات العالمية؛ مثل الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات المعنية بحماية الأطفال والمراهقين حول العالم، لإنشاء قوانين عالمية تحمى النشء، بشكل خاص، من التعرض لمثل هذه المواد الخاصة بالدردشة الجنسية، وتكون لها الفاعلية القانونية الدولية، بغض النظر عن طبيعة البلد المنشأ لمثل هذه البرامج الخاصة بالدردشة.

١٠- أثرنا أن نكتب اسم الحجرات كما هي على الإنترنت، حفاظاً على الشكل اللغوي المميز لها، وتأكيداً لمواصفات هذا النص، المرتبط أكثر ما يكون، بالجمع بين الكتابة، والصوت، والصورة، وغيرها من المؤثرات التي يمكن إضافتها إلى ذلك النص وقت خلقه وفي أثنائه. وفي اللغة الإنجليزية، لم تصبح الكلمة نص Text، التي تستخدم غالباً للإشارة إلى النص التقليدي الذي اعتدنا عليه، مثلما هو موجود بين دفتي الكتب والمجلات... إلخ، كافية للإشارة إلى النص المستخدم خلال فضاء الإنترنت واستيعابه، لذلك فإن المصطلح المستخدم في اللغة الإنجليزية «النص المركب» Hypertext، الذي تم استخدامه من قبل تيد نيلسون Ted Nelson عام ١٩٦٥، يشير إلى الوثائق التي يستخدم الكمبيوتر في تقديمها، والتي تتسم بكونها لا خطية ومركبة، مقابل الوثائق الخطية، والتي هي أكثر تبسيطاً، مثل هذه الموجودة على صفحات الكتب والمجلات التي تتم

- عن طريق الخطب والأحاديث التقليدية (انظر لاندو : Landow 1994 ص ص ٧-١) .
- ١١- تخصص هذه الحجرة موقعاً مرتبطاً بها، بمعنى أنه يظهر بمجرد فتح الحجرة، يُسمى إسلاميات دوت كوم، وهو عبارة عن هجوم حاد على المسلمين، والرسول وآله، وهو ممتلئ بأغلاط وتفسيرات بشعة يندى الجبين عن ذكرها في السياق الراهن. والملاحظ هنا أن هذه النوعية من الحجرات تعبر، بشكل رئيسي، عن فكر منشئها، وتوجهاتهم العدوانية، أكثر منه تعبيراً عن السياق المجتمعي العام، والجماعة الوطنية التي ينتمون إليها. ولعل ذلك يتفق مع ما ذكرناه آنفاً من أنه على الرغم من أهمية الإنترنت بوصفها أداة اتصال أكثر رخصاً وانتشاراً، فإنها في أحيان ليست بالقليلة، تُستخدم بوصفها أداة ديماجوجية للتنفيس عن النزعات المكبوتة، التي لا يستطيع الأفراد في حياتهم العادية التعبير عنها. وفي ضوء هذه المحدودية لنوعية اللغة المستخدمة في هذه الحجرات، التي لا تعبر عن السياق اللغوي العام، أثرنا ألا نتناولها بالوصف والتحليل، حيث إنها، مثلها في ذلك مثل حجرات الدردشة الجنسية، تحتاج إلى دراسة خاصة بها.
- ١٢- نشير هنا إلى أن الأرقام التي تلي الأسماء المستعارة قد تكون من اختيار المستخدم نفسه، وقد تكون من اختيار شبكة البال تووك. فلنفرض مثلاً أن مستخدماً ما أراد أن يسجل نفسه تحت اسم AHMED ، فإذا كان هو أول مستخدم يسجل بهذا الاسم، فسوف يقبله برنامج البال تووك، أما إذا كان هناك من سبقه باستخدام هذا الاسم، فإن برنامج البال تووك سوف يقدم له مجموعة من البدائل؛ مثل AHMED\_1 ، AHMED\_2 ، أو ... AHMED222إلخ.

## أولاً: المراجع العربية

- أبو شقرا، راجي. ١٩٩٦. دليل استخدام الإنترنت لغير المتخصصين. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- بوخاطر، علياء عبدالرحمن. ١٩٩٩. دليل استخدام الإنترنت في الإدارة. أبوظبي: معهد التنمية الإدارية.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية. ٢٠٠٣. نحو إقامة مجتمع المعرفة. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي.
- جرجس، نادي كمال عزيز. ١٩٩٩. الإنترنت وتعليم وتعلم الرياضيات والكمبيوتر. العين، الإمارات: مكتبة الفلاح.
- الجمال، راسم محمد. ١٩٩١. الاتصال والإعلام في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة

العربية.

- الجوهري، هناء. ٢٠٠١. «استجابات الشباب المصري لشبكة الإنترنت، ملاحظات أولية». ص ص ٢٦٧-٢٧٩، في فاطمة القليني وآخرين. علم الإجتماع الإعلامي. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- الحاجي، محمد. ٢٠٠٢. الإنترنت إيجابياته وسلبياته. دمشق: دار المكتبي.
- حمادة، بسبوني إبراهيم. ٢٠٠٣. اتجاهات عالمية حديثة في بحوث الإعلام وتكنولوجيا الاتصال. الإمارات العربية المتحدة: كتاب البيان.
- الدليمي، حميد جاعد محسن. ٢٠٠٢. علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية. عمان، الأردن: دار الشروق.
- الرميحي، محمد. ١٩٩٨. ثورة المعلومات والإعلام الحائر. البيان، الإمارات: مركز المعلومات للدراسات والبحوث.
- ريفكن، جيرمي. ٢٠٠٣. عصر النفاذ، الثقافة الجديدة للرأسمالية حيث الحياة تجرية مكلفة. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- سعيد، سامر محمد. ١٩٩٨. ال «إنترنت» المنافع والمحاذير. الكويت: دار سعاد الصباح.
- سنو، مى العبد الله. ٢٠٠١. الاتصال في عصر العولمة الدور والتحديات الجديدة (بحث نظري وميداني). بيروت: دار النهضة العربية.
- الشال، انشراح. ٢٠٠٣. الدش والإنترنت والتلفزيون في إطار علم الاجتماع الإعلامي. القاهرة: المدينة برس.
- شاهين، بهاء. ١٩٩٩. الإنترنت والعولمة. القاهرة: عالم الكتب.
- العصيمي، عبد المحسن بن أحمد. ٢٠٠٤. الآثار الاجتماعية للإنترنت. الرياض: قرطبة للدراسات الاجتماعية
- علي، نبيل. ١٩٨٨. اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية). تقديم أسامة الخولي. بدون بلد النشر: تعريب.
- كاظم، نجاح. ٢٠٠٢. العرب وعصر العولمة، المعلومات: البعد الخامس. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- اللبان، شريف درويش. ٢٠٠٠. تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- مارتن، شاك. ٢٠٠٢. مستقبل الإنترنت. ترجمة موسى يونس. الرياض: بيت الأفكار الدولية.

- مكاوي، حسن عماد؛ السيد، ليلى حسين. ١٩٩٨. الاتصال ونظرياته المعاصرة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- مهنا، فريال. ٢٠٠٢. علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية. دمشق: دار الفكر.
- اليحياوي، يحيى. ٢٠٠٢. في العولمة والتكنولوجية والثقافة، مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة. بيروت: دار الطبيعة.
- يونج، كمبرلي، ب.ت. الإدمان على الإنترنت. ترجمة هاني أحمد الثلجي. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع. الرياض.

## ثانياً: المراجع الأجنبية

- Baym, Nancy K. 1995. (The Emergence of Community in Computer-Mediated Communication). In Jones, Steven G. (Ed.) CyberSociety: Computer-Mediated Communication and Community. London: Sage. pp.138 - 163 (Online) <http://www.socio.demon.co.uk/topicVC.html>
- Cicognani, Anna. On the Linguistic Nature of Cyberspace and Virtual Communities,(Online) <http://www.arch.su.edu.au/~anna/papers/language.pdf>
- Collins, M., & Murphy, K. 1999. Communication Conventions in Instructional Electronic Chats. (Online) [http://www.firstmonday.dk/issues/issue2\\_11/murphy.html](http://www.firstmonday.dk/issues/issue2_11/murphy.html)
- Conversation Analysis of Internet Chat Rooms. (Online) <http://www.se.unisa.edu.au/vc/5-ca-cha.htm>
- Dahan, Michael. Internet Usage in the Middle East: Some Political and Social Implications (Online) <http://www.mevic.org/papers/inet-mena.html>
- December, John. 1996. Unit of Analysis of Internet Communication. A special joint issue of Journal of Communication, Vol. 46, No.1, and Journal of Computer-Mediated Communication, Vol1, No.4, (Online) <http://jcmc.huji.ac.il/vol1/issue4/december.html>
- Deemer, Charles. What is Hypertext. (Online) <http://www.ibiblio.org/cdeemer/hypertext.htm>
- Ethnography (Online) <http://www.cybersociology.com/>
- Hall, Barbara. How to Do Ethnographic Research: A Simplified Guide, (Online) <http://www.sas.upenn.edu/anthro/CPIA/methods.html>
- Hamman, Robin.1998. The Online/Offline Dichotomy: Debunking Some Myths about AOL Users and the Effects of Their Being Online Upon Offline Friendships and Offline Community. (Online)

- <http://www.cybersociology.com/>
- .....1997. „The Application of Ethnographic Methodology in the Study of Cybersex.„ Cybersociology. Issue One. (Online) [www.cybersociology.com](http://www.cybersociology.com)
- .....1996. Cyborgasms: Cybersex Amongst Multiple-Selves and Cyborgs in the Narrow-Bandwidth Space of America Online Chat Rooms. Unpublished Dissertation. University of Essex. (Online)  
<http://www.socio.demon.co.uk/home.html>
- .....1996. Cybersex Amongst Multiple-Selves and Cyborgs in the Narrow-Bandwidth Space of America Online Chat Rooms, MA Dissertation Department of Sociology, University of Essex, Colchester, UK, (online)  
<http://www.socio.demon.co.uk/Cyborgasms.html#anchor322648>
- Heng, Michael S. H. & Aldo de Moor. 2003. „From Habermas's Communicative Theory to Practice on the Internet.„ Information Systems Journal. vol.13. Pp.331-352
- How Many Online? [http://www.nua.ie/surveys/how\\_many\\_online/](http://www.nua.ie/surveys/how_many_online/)
- Human Rights Watch. 1999. The Internet in the Mideast and North Africa, Free Expression and Censorship. (Online)  
<http://www.hrw.org/advocacy/internet/mena/download.htm>
- Jones, Steven G. 1997. „The Internet and its Social Landscape.„ in Jones, Steven G. (Ed.) Virtual Culture: Identity and Communication in Cybersociety. London: Sage. pp.7 - 35. (Online) <http://www.socio.demon.co.uk/topicVC.html>
- Jones, Steven G. 1995. Understanding Community in the Information Age,„ In, Jones, Steven G. (Ed.) CyberSociety: Computer-Mediated Communication and Community. London: Sage. pp.10-36. (Online)  
<http://www.socio.demon.co.uk/topicVC.html>
- Kiesler, Sara, Jane Siegel, and Timothy W. McGuire. 1984. (Social Psychological Aspects of Computer-mediated Communication). American Psychologist. Volume 39, Number 10. pp. 1123-1134.
- King, Storm. A. (1996) Is the Internet Addictive, or Are Addicts Using the Internet? (Online)  
[http://www.concentric.net/~Astorm/iad.html&  
http://webpages.charter.net/stormking/iad.html](http://www.concentric.net/~Astorm/iad.html&http://webpages.charter.net/stormking/iad.html)
- Landow, George P. ed. 1994. Hyber/Text/Theory. Johns Hopkins University.
- Leydosdorff, Loet. 2003. Second Edition. A Sociological Theory of Communication: The Self-Organization of the Knowledge-Based Society. Universal Publishers/uPUBLISH.com.
- Marotzki, Winfried. 2003. Bildung, Subjectivity and Information Technologies, Educational Philosophy and Theory, Vol. 35, No. 2.

- Mason, Bruce & Bella Dicks. 1999. «The Digital Ethnographer,» Cybersociology, Issue Six. (Online) <http://www.cybersociology.com>
- North, T. (1994) The Internet and Usenet Global Computer Networks; An investigation of their culture and its effects on new users. (Online) <http://www.vianet.net.au/~timn/thesis/>
- Nunberg, Geoffrey. Will the Internet Always Speak English? (Online) <http://www.prospect.org/print/V11/10/nunberg-g.html>
- Orthmann, Claudia. 2000. «Analyzing the Communication in Chat Rooms-Problems of Data Collection.» Qualitative Social Research. Volume 1, No. 3. (Online) <http://www.qualitative-research.net/fqs-texte/3-00/3-00orthmann-e.pdf>
- Paltalk (Online) <http://www.paltalk.com/PalTalkSite/company.html>
- Parrish, R. (2000). Conversation Analysis of Internet Chat Rooms. (Online) <http://polisci.wisc.edu/~rdparrish/Chat%20Rooms%20for%20Web%20Site.htm>
- Reid, Elizabeth M. 1996. (Communication and Community On Internet Relay Chat. in Ludlow, Peter (Ed.) High Noon on the Electronic Frontier: Conceptual Issues in Cyberspace. Cambridge, Mass: MIT Press. Pp. 397 - 412 (Online) <http://www.socio.demon.co.uk/topicVC.html>
- .....1994. Cultural Formations in Text-Based Virtual Realities. Masters Thesis, University of Melbourne. (Online) <http://www.ee.mu.oz.au/papers/emr/index.html>
- .....1991. Electropolis: Communication and Community On Internet Relay Chat. Honors Thesis, University of Melbourne. (Online) <http://www.ee.mu.oz.au/papers/emr/index.html>  
And <http://www.aluluei.com/electropolis.htm>
- Rheingold, Howard. 1996. A Slice of My Life in My Virtual Community. in Ludlow, Peter (Ed.) High Noon on the Electronic Frontier: Conceptual Issues in Cyberspace. Cambridge, Mass: MIT Press. pp.413 - 436. (Online) <http://www.socio.demon.co.uk/topicVC.html>
- .... 1993. «A Slice of My Life in My Virtual Community. In Harasim, L. M. (ed.) Global Networks: Computers and International Communication. Cambridge, MA: MIT Press. pp. 57-80.
- .....1993. The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier. Reading, MA: Addison-Wesley Publishing Co.  
.Virtual Community. (Online) <http://www.rheingold.comvc/book>
- Shapiro, Andrew L. 2000. «The Control Revolution: How the Internet is



Putting Individuals in Charge and Changing the World we know.. Public Affairs.

- .....Summer 1999. 'The Internet: Think Again.. Foreign Policy.
- Silver, David. Looking Backwards, Looking Forward: Cyberculture Studies 1990-2000, (Online) <http://www.com.washington.edu/rccs/intro.asp> Originally published in Web.studies: Rewiring Media Studies for the Digital Age, edited by David Gauntlett (Oxford University Press, 2000) pp.19-30.
- Stroud, Dick. 1998. Internet Strategies, a Corporate Guide to Exploiting the Internet. London: Macmillan.
- Suler, J. (2002). 'The basic psychological features of cyberspace.. The Psychology of Cyberspace. (Online) [www.rider.edu/suler/psycyber/basicfeat.html](http://www.rider.edu/suler/psycyber/basicfeat.html)
- Thesis Home. 2002. (Online) <http://se.unisa.edu.au/phd/thesis/intro.html>
- Walker, Katherine. 2000. 'It's Difficult to Hide It: The Presentation of Self On Internet Home Pages.. Qualitative Sociology. Vol. 23. No.1. pp. 99-120
- Yee, T. (2000). In Defence of Chatrooms. (Online) <http://www.thecore.nus.edu.sg/writing/students/teosooyee>.
- Young, K. (1996). Internet Can be as Addicting as Alcohol, Drugs and Gambling. (Online) <http://www.apa.org/>